جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين
(589-648هـ/1193-1250م)

حنان أحمد محمود الخريسات

رسالة

مقدمة إلى

عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير التاريـــخ قسم التاريـــخ

جامعة مؤتة، **2004**م

بسم الله الرحمن الرحيم

MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤته

عمادة الدراسات العليا

Ref:.................. الرقـــم : ....

Date:.................... التاريخ : ....هـ

الموافق: ....م

نموذج رقم (١٢)

إجازة رسائل جامعية

القسم:التاريخ

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة حنان احمد الخريسات والموسومة بـــ:

"السياسة الايوبية تجاه الصليبيين (٥٨٩-٦٤٨هـ/١١٩٣-١٢٥٠م)".

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ.

الاسم	التوقيع	التاريخ	
أ.د. احمد الحسو		٢٠٠٤/٥/١٩	مشرفا
أ.د. حسين الكساسبة		٢٠٠٤/٥/١٩	عضوا
د. محمود الرويضي		٢٠٠٤/٥/١٩	عضوا

عميد الدراسات العليا

د. ذياب البداينـــــة

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :٦١٧١٠
تلفون :٩٩-٠٣/٢٣٧٢٣٨٠
فرعي 5328-5330
فاكس 375694 ٠٣/٢
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلـــى روح والـــدي رحمه الله، والى والدتي أمد الله في عمرها، وإلى أسرتي الكريمة اهدي هذا الجهد المتواضع.

حنان أحمد محمود الخريسات

شكر وتقدير

يسعدني أن اتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الاستاذ الدكتور أحمد عبدالله الحَسُو على مساعدتي في اختيار موضوع الأطروحة، وعلى تفضله بقبول الإشراف عليها، وعلى ما قدمه لإخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود. ولأعضاء لجنة المناقشة الاستاذ الدكتور حسين الكساسبة والدكتور محمود الرويضي، كما أتوجه بالشكر إلى مديرية التربية والتعليم في محافظة الطفيلة على تسهيلها أمر متابعة دراستي، وأتقدم بوافر الشكر لقسم المصادر في المديرية على تسهيل استخدام المصادر والمراجع المتوافرة في مكتبته، كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى المعلمة عواطف الهوامله على الترجمة الفرنسية دعماً لهذه الدراسة، وإلى مركز النجم الساطع للكمبيوتر- الطفيلة على ما قدمه من خدمات، وإلى كل من أسهم بكل مساعدة .

حنان أحمد محمود الخريسات

فهرس المحتويات

قائمة الملاحق

الاختصارات

المختصرات	الرمز
تاريخ وفاه	تْ
جزء	ج
طبعة	ط
صفحة	ص
قسم	ق
عدد	ع
هجري	هـ
ميلادي	م
تحقيق	تح
مجلد	مج
دون تاريخ	د.ت
دون طبعة	د.ط
دون ناشر	د.ن
دون مكان نشر	د.م
المرجع نفسه	Ibid
Page	p
Volume	Vol
Tome	T

الملخص

السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين
(569-648هـ/1173-1250م)

حنان أحمد محمود الخريسات

جامعة مؤتة، 2004

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين ومدى اتساقها وتباينها عن سياسة صلاح الدين الأيوبي للحقبة الأيوبية في الفترة (569-648هـ/1173-1250م).

قسمت الدراسة إلى خمسة فصول: خصص الفصل الأول لدراسة السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي في الفترة (569-589هـ/1173-1193م)، أما الفصل الثاني فقد تناول السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين إبان حرب الوراثة في الفترة (589-595هـ/1193-1195م)، والفصل الثالث فقد تناول السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد السلطان الملك العادل في الفترة (596-615هـ/1199-1218م)، أما الفصل الرابع فقد تناول السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد السلطان الملك الكامل في الفترة (615-635هـ/1218-1237م)، والفصل الخامس تناول دراسة السياسة الأيوبية تجاه الصليبين في حقبة ما بعد عصر الملك الكامل وحتى سقوط الدولة الأيوبية في الفترة (635-648هـ/1237-1250م) وقد انتهت الدراسة بخاتمة تضمنت النتائج النهائية للدراسة وأرفق بها مجموعة من الملاحق وقائمة بالمصادر والمراجع.

ABSTRACT

The Ayyubids Policy Towards the Crusaders
(569-648 A. H. / 1173-1250 A. D.)

Hanan Ahmad Al-Khrisat

Mu'tah University,2004

This study aimed to highlight the Ayyubids policy towards Crusaders and to show suitable was or different from Saladin's policy for the Ayyubids era which was between (569-648 A.H/1193-1250 A.D).

This survey was divided into five chapters: - The first chapter was to study the Ayyubids policy towards crusaders in the reign of Saladin Al-Ayyubi in the period (569-589 A.H / 1173-1193 A.D).

The second chapter dealt with the Ayyubids policy towards crusaders in the time of the hereditary war in the period that was between (589-595 A.H / 1193-1195 A.D), and the Third chapter dealt with the Ayyubids policy towards crusaders in the reign of Al-Malik Al-Adil in the period (596-615 A.H / 1199-1218 A.D).

The fourth chapter dealt with the Ayyubids policy to wards crusaders in the reign of Al-Malik Al-Kamil in the period of (616-635 A.H / 1218-1237 D.D), The last chapter dealt with studying the Ayyubids policy towards crusaders in the period that was after the reign of Al- Malik Al-Kamil until the period that was between (635-648 A.H / 1237-1250 D.D).

The survey was finished with a summary that contains the final findings of study and accompanied by a list of references.

الفصل الأول
السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين
في عهد صلاح الدين الأيوبي
(569-589هـ / 1173-1193م)

1.1 المقدمة

أولت الدراسات الحديثة اهتماما كبيرا بشخصية صلاح الدين الأيوبي وعصره، ولا سيما ما يتعلق بالسياسة التي انتهجها في التصدي للوجود الصليبي، إلا أنها لم تعط ذات الاهتمام للحقبة التي أعقبته والتي امتدت قرابة ستة عقود (589-648هـ/1193-1250م)، فقد اقتصر ذلك على ما تضمنته بعض البحوث عن الدولة الأيوبية من إشارات دون أن تسلط الضوء على المتغيرات الجوهرية تجاه الصليبيين.

تلك هي الإشكالية التي تحاول هذه الدراسة معالجة جانب من جوانبها، وهو ما يتعلق بالسياسة الأيوبية تجاه الصليبيين بعد صلاح الدين الأيوبي، أي خلال عهد السلاطين الذين أعقبوه من أسرته.

وقد وضعت الدراسة تساؤلات بهذا الخصوص حاولت الإجابة عليها وهي:

1 - ما السياسة التي انتهجها الأيوبيون تجاه الصليبيين في أعقاب وفاة صلاح الدين الأيوبي وحتى سقوط الدولة الأيوبية (589-648هـ/1193-1250م)؟

2 - ما مدى اتساق أو تباين هذه السياسة، عنها في عهد صلاح الدين الأيوبي ؟

3 - ما مدى نجاح هذه السياسة في تحقيق أهدافها ؟

استندت الدراسة في محاولتها للإجابة على هذه التساؤلات وتحديد معالم السياسة الأيوبية بعد صلاح الدين الأيوبي إلى مجموعة واسعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، يأتي كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب)، لابن واصل (ت697هـ/1297م) في مقدمتها، وذلك أن هذا المؤرخ كان معاصراً لحقبة الدراسة، كما أنه كان على صلة بالدولة، فهو مطلع على أحداثها عن كثب، بل كان

شاهد عيان لكثير مما تحدث عنه ؛ وقد أفدت منه فيما ذكره من معلومات عن موقف كل من السلطان الملك الأفضل (589-592هـ/1193-1195م) والسلطان الملك العزيز عثمان (592-595هـ/1193-1198م) تجاه الصليبيين . كما أنه أورد نصوصا ووثائق هامة تتعلق بعهد السلطان الملك العادل (596-615هـ/1199-1218م)، ومن ذلك تفرده بإيراد جانب من رسالة أرسلها سنة 599هـ/1202م إلى المنصور محمد صاحب حماة، توضح الطريقة التي كان يفكر بها تجاه التعامل مع الصليبيين، إضافة إلى إيراد معلومات، ونصوص ألقت الضوء على التباين في النظرة إلى الصليبيين بين السلطان الملك الكامل (615-635هـ/1218-1237م) وأخيه الملك المعظم صاحب دمشق .

يلـــي كتاب ابن واصل في الأهمية : كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك)، للمقريزي (ت845هـ/1441م)، ومع أنه لم يكن مؤرخاً معاصراً لحقبة الدراسة، إلا أنه قدم مادة غنية تكاد تكون متكاملة، مما ساعد على تكوين صورة واضحة عن المواقف المتسقة أو المتناقضة للسلاطين الأيوبيين تجاه الصليبيين، إضافة إلى أنه قدم وثائق سياسية هامة تتعلق بالأوضاع السياسية التي سبقت حملة لويس التاسع على دمياط سنة 647هـ/1249م، كما أنه قدم نصوصاً أو جانباً من نصوص الرسائل المتبادلة بين لويس التاسع وبين السلطان الصالح نجم الدين.

واعتمدت الدراسة على مصدر آخر هو (تاريخ بيروت) لصالح بن يحيى (ت840هـ/1436م) والذي تنبع أهميته من أن مؤرخه من أسرة بحتر التنوخية التي قطنت بيروت منذ عهد صلاح الدين الأيوبي، وكانت لها علاقات جيدة مع الأيوبيين، لذا فقد تفرد المؤرخ بإيراد معلومة خاصة بسياسة الملك الأفضل تجاه الصليبيين بتوثيق علاقته مع الأسرة التنوخية مقابل التصدي للخطر الصليبي سنة 590هـ/ 1194م والتحالف معهم، وربما اعتمد ابن سباط في تاريخه (صدق الأخبار) على صالح بن يحيى في نقل المعلومة نفسها.

كما اعتمدت الدراسة على كتاب (نهاية الأرب في فنون الأدب) للنويري (ت733هـ/1322م) والذي تفرد بتفصيل الحديث عن استيلاء الصليبيين على مدينة جبيل سنة 590هـ/1194م، وعن المفاوضات التي تمت بين الأيوبيين والصليبيين

لاستردادها. واعتمدت الدراسة على كتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) للقلقشندي (ت821هـ/1418م) الذي تبرز أهميته في جمعه للوثائق السياسية التي أغنت الدراسة في معظم فصولها، والتي وضحت طبيعة ومسارات السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين ومنها : رسالة التعزية الصادرة من صلاح الدين إلى بلدوين معزياً بوفاة والده، ورسالته إلى سلطان المغرب يطلب النجدة البحرية، ورسالة الجواد يونس إلى الإمبراطور فردريك الثاني سنة 630هـ/1232م، وقد تفرد القلقشندي بإيراد قطعة من رسالة الملك لويس التاسع إلى المعظم تورانشاه سنة 647هـ/1249م يطلب فتح باب التفاوض على أن يرد له بيت المقدس ومناصفة البلاد .

أما المصادر الغربية فقد اعتمدت الدراسة على كتاب (تتمة وليم الصوري)، المنسوب خطأً إلى روثلان (Rothilan) وهو مترجم عن الفرنسية وقد تناول أحداثاً مهمة فيما بين سنين 626-659هـ/1229-1261م، ومنهـا حديثه عن الحملة الصليبية السابعة التي كان معاصراً لها، وقد أفدت منه في الأحداث التي أعقبت وفاة صلاح الدين الأيوبي حيث أورد وثيقة هامة للبابا أنوسنت الثالث (Innocent III) طلب فيها من صليبيي المشرق إعلامه بدقائق الموقف الأيوبي في بلاد الشام، تمهيدا لإرسال حملة جديدة، كما تضمن هذا المصدر معلومات تفصيلية عن نزول الصليبيين على البر الغربي لدمياط وعن الاستيلاء عليها سنة 616هـ/1218م.

رغـم أهميـة المصدر إلا أن مؤرخـه أغفل أو تجاهـل ذكـر بعض الأحداث رغم معاصرته لها كمعاهدة يافا سنة 626هـ/1229م بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك الثاني، كما أغفل الحوادث سنـة 628هـ/1230م، 636هـ/1238م، و639-641هـ/1241-1243م.

وأما المصدر الآخر المهم فهوكتاب (القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام)، لجوانفيل، وتكمن أهميته في أن مؤرخه أحد فرسان الحملة الصليبية السابعة، وشاهد عيان لها، أورد نصوص الاتفاقية بين الصليبيين والمعظم تورانشاه في سبيل إطلاق سراح لويس التاسع سنة 648هـ/1250م، وتحدث بما رآه من واقع الأحداث في الحملة السابعة على دمياط .

ولقد أفادت الدراسة معلومات قيمة من مصادر آخرى، عربية وغربية، كالنوادر السلطانية لابن شداد (ت632هـ/1234م) الذي أبرز الدور السياسي لصلاح الدين الأيوبي من خلال مفاوضاته مع ريتشارد قلب الأسد، واتفاقية صلح الرملة.

وكتاب (التاريخ المنصوري) لابن نظيف الحموي (ت637هـ/1240م) الذي أورد بعض الوثائق السياسية كرسالة الجواد يونس، وكتاب (العسجد المسبوك) للأشرف الغساني الذي تفرد مع ابن الأثير في كتاب (الكامل في التاريخ) يورد جانباً من رسالة السلطان الملك الكامل إلى أخيه الأشرف موسى سنة 625هـ/1227م خوفا من قدومه إلى بيت المقدس، وغيره من المصادر والمراجع والبحوث العربية، والأجنبية.

أما المنهجية المتبعة في هذه الدراسة فهي اتباع قواعد منهج البحث التاريخي، والإحاطة بالمصادر والمراجع والبحوث، نقداً، وتحليلاً، ومقارنة للنصوص بهدف الوصول إلى أقرب صورة للحقيقة التاريخية .

انتظمت الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، عُني الفصل الأول بسياسة صلاح الدين الأيوبي تجاه الصليبيين (569-589هـ/1173-1193م) وتحديد أبعادها ومنطلقاتها تمهيدا لبقية الفصول، أما الفصل الثاني فقد عُني بدراسة السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين إبان حرب الوراثة (589-595هـ/1193-1195م)، وفي حين تركز الفصل الثالث على دراسة هذه السياسة في عهد الملك العادل (596-615هـ/1199-1218م)، فقد عولج في الفصل الرابع ما طرأ عليها من متغيرات في عهد السلطان الملك الكامل سنة (615-635هـ/1218-1237م) أما الفصل الخامس فقد تناول السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في حقبة ما بعد عصر الملك الكامل وحتى سقوط الدولة الأيوبية (635-648هـ/1239-1250م)، وهي التي تشمل عهد الملك العادل الثاني (635-637هـ/1237-1239م)، والصالح أيوب (637-647هـ/1239-1249م) والمعظم تورانشاه (647-648هـ/1249-1250م) وأنهيت الدراسة بخاتمة وقائمة للمصادر المراجع والملاحق.

2.1 السياســة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي(569-58هـ/ 1173-1193م)

لمعــرفة السياســة التــي انتهجها الأيوبيون تجاه الصليبيين بعد صلاح الدين الأيوبــي – وهو موضوع هذه الأطروحة- ، لا بد من إعطاء صورة عن اتجاهات هذه السياسة في عهده أولاً .

تنامى هاجس دفع الخطر الصليبي عن مصر وبلاد الشام ، لدى صلاح الدين الأيوبي قبل قيام الدولة الأيوبية[1]، وإثْرَ مشاركته في الحملات الثلاث التي شنتها الاتابكية الزكنية[2] على مصر ، بين سنتي(559-564هـ / 1163-1168م)[3]، ثم بعد أن أصبح هو المهيمن على إدارتها ، نيابة عن نور الدين محمود[4]، وعن الخليفة الفاطمي العاضد بالله (555-567هـ / 1167-1171م)[5] على حـد ســواء بين سنتي (564- 567/ 1168-1171م)[6] ، ثم بعد إلغاء الخلافة الفاطمية سنة 567هـ/1171م، وحتى وفاة نور الدين محمد سنة 569هـ / 1173م[7].

والواقع أن أهم دوافع الزنكيين، وراء الحملات الثلاث المشار إليها على مصر، هو الوقوف في وجه طموحات عموري الأول؛ ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية، في مد نفوذه نحوها[8].

عَرفت هذه الحقبة التي امتدت خمس سنوات (564-569هـ/1168-1173م)، ردود فعل كبيرة لدى الصليبيين في المشــرق، بعــد أن فشلوا في الحفــاظ على مــا كان لهم من نفوذ، كانــوا قد حققوه إبان غزوهم لمصر، سنة 562هـ/1166م[9]، اضطر معه قائدهــم ، الملك عموري الأول (Amarlic I) (558-570هـ / 1162-1174م)، للتراجع والعودة نحو مملكته في بيت المقدس بعد سنتين من هذا التاريخ[10].

شعر الصليبيون أنهم لم يفقدوا امتيازاتهم في مصر فحسب ، بل سُلبوا سيادتهم البحرية ، شرقي حوض البحر المتوسط[11]. وقد دفعهم هذا إلى عقد تحالف مع الدولة البيزنطية، للقيام بحملة مشتركة؛ وهي الحملة التي قامت فعلاً ســنة 565هـ/ 1169م، والتي شكلت تحدياً كبيراً للزنكيين، ولصلاح الدين الأيوبي، بشكل خاص. وإذا كان نجاح صلاح الدين ؛ وبإسناد كبير من الخليفة الفاطمي العاضد، وسيده

نورالدين، والأمراء الأيوبيين في إفشال هذه الحملة[12]، قد أضعف التحركات الصليبية ضده خلال السنوات التالية[13]، فإن الصليبيين كانوا آنذاك يخططون، مع جهات عديدة، للانقضاض على مصر، والقضاء على قواته، غير أنه تمكن من كشف مخططاتهم ، ثم القضاء على حركتهم ، وذلك سنة (569هـ / 1173م) [14] .

لقد كان لهذه السنوات الخمس، بما عرفته من تحديات، أثرها الكبير في بلورة ذهن صلاح الدين الأيوبي تجاه ما يجب عمله لمواجهة هذا الخطر، وبخاصة أنه تزامن مع وفاة نور الدين محمود في شهر شوال سنة 569هـ/ نيسان 1173م[15] كما أن ما أعقب ذلك من تمزق وحدة بلاد الشام، واصطراع الأمراء الزنكيين على السلطة[16]، وتخاذلهم في الدفاع عن مدينة بانياس التي حاصرتها قوات الصليبيين بقيادة الملك عموري الأول[17]، وإيثارهم الدخول في صلح مهين معهم[18]، جعله مضطراً للإفصاح عن موقفه من هذه الأحداث، ومن التحركات الصليبية التي حاولت الإفادة من الفراغ السياسي الكبير، الذي حصل في صفوف الزنكيين، بعد وفاة نور الدين.

أنكر صلاح الدين الأيوبي، على الأمراء الزنكيين في دمشق وغيرها، تخاذلهم هذا[19]، بل انه أرسل رسائل إلى بعض علماء دمشق، أخذ عليهم سكوتهم عن ذلك[20]، وقد تضمنت هذه الرسائل تصويراً واضحاً، للمخاطر المتوقعة جراء التخاذل الزنكي، والتحرك الصليبي، وهو ما يمكن تلخيصه بما يلي:

1 – ان استمرار "**ولاية**" الأمراء الزنكيين، ممن تخاذل في الدفاع عن مدينة بانياس، ووقّع معاهدة الصلح؛ آنفة الذكر، مع الصليبيين، يعني تفرق الكلمة المجتمعة، وانعزال مصر عن الشام، و "**طمع أهل الكفر**– أي الصليبيين– **في بلاد الإسلام**"[21].

2 – إن جمع شمل المسلمين، وتأليف كلمتهم، وعودة البيت الزنكي الى وحدته، أمر تقتضيه الضرورة "**بعد تكاثر أطماع العداة**" [22] من الصليبيين.

جاءت تصرفات صلاح الدين الأيوبي عقب إرسال رسائله، آنفة الذكر، منسجمة مع أفكاره فيها، فقد غادر مصر نحو دمشق في ربيع الأول من سنة

569هـ/تشرين الأول 1173م بهدف استعادة وحدة البلاد[23] تحت ظل ابن صغير لنور الدين ، هو الصالح إسماعيل الذي كان قد تولى السلطنة بعد وفاة أبيه[24].

أُستُقبل صلاح الدين في مدينة دمشق من قبل الأمراء الزنكيين فيها، بترحاب كبير وسلمت له مفاتيح المدينة، كما رحبت به مدينتا حمص وحماة، أما زنكيو حلب والموصل، فقد وقفوا ضده[25]، ودفعه هذا إلى، الدخول في حروب معهم [26]، مما هيأ الظروف لقيام الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام سنة 570هـ / 1174م.

تحالف الزنكيون في المدينتين المشار إليهما مع الصليبيين[27]، ثم مع الإسماعيلية[28]، ضد الدولة الجديدة وزعيمها صلاح الدين الأيوبي، وقامت حروب بينهما استمرت ذيولها حتى سنة 582هـ / 1186م[29].

لم يكن بإمكان صلاح الدين الأيوبي خلال السنوات الاثنتي عشرة هذه (570-582هـ / 1174-1186م)، مواجهة عناصر هذا التحالف مجتمعه؛ وبخاصة في رقعة واسعة من البلاد، تكاد تشكل طوقاً يحيط به وبقواته، يمتد من منطقة الجزيرة الفراتية (الموصل)، وحتى شمال بلاد الشام (حلب)، ثم عَبْر جبال لبنان (الإسماعيلية)، وسواحل البحر المتوسط ، وفلسطين (الصليبيون).

لمواجه هذا الوضع ، تبنى صلاح الدين الأيوبي خطة ذات مسارات ثلاثة، وهي:

1 - اعتماد سياسة الحرب تارة، والمهادنة تارة أخرى، مع أطراف التحالف لغرض مواجهتهم منفردين، ولكي يُفرِغ تحالفهم من مضمونه، كلما أمكنه ذلك، وهذا ما حصل حين عقد صلحاً مع الملك عموري الأول (Amarlic I) سنة 570هـ / 1174م أطلق بموجبه مجموعة من أسرى الصليبيين، ليتفرغ إلى أمراء الموصل[30]، كما عقد صلحاً آخر مع زنكيي حلب سنة 573هـ/1177م[31]، مما وفر له المجال لمهاجمة الصليبيين في غزة، وعسقلان التي استولى عليها[32]، كما هزمهم في مرج عيون سنة 575هـ / 1179م[33]، وحاصر الموصل وسيطر على حران، والرها ، وسروج، ونصيبين[34]، وأرسل إلى الخليفة العباسي يعلمه بالخطر الناجم عن التحالف الزنكي مع الصليبيين[35] ولم يمنعه

ذلك من إرسال رسالة إلى بلدوين الرابع (Baldwin IV) (570-579هـ/1174-1183م) بعد وفاة والده؛ عموري الأول سنة 570هـ/1174م، يعزيه، ويعرض صداقته عليه[36]، كما انه عقد معه اتفاقية سنة (576هـ/1180م)، أمدها سنتان، وعقد اتفاقية أخرى مع إمارة طرابلس في السنة التالية، أمدها أربع سنوات[37]، ولكنه مع نزوعه هذا نحو عقد اتفاقيات صلح مع الصليبيين، كان حذرا منهم، وهذا ما جعله يرد بقوة على التحركات المعادية التي قام بها بارون الكرك رينالد دي شاتيون سنة 577هـ /1181م، ثـم سنة 578هـ/ 1182 م[38]

2 – ترصين استعداداته العسكرية، ومعالجة جوانب الضعف فيها، ففي حين اهتم ببناء القلاع والأسوار، وزيادة تحصينات ما هو قائم منها، وتوفير ما تتطلبه من سلاح وأدوات قتال[39] فقد أولى الأسطول عناية خاصة، واتخذ خطـوات إدارية، ومالية، وفنية، لتزويده بقطع بحرية عسكرية جديدة، توفر له القدر الأكبر من القوة، لمواجهة أساطيل الفرنج [40].

3 – إقامة علاقة وثيقة بينه، وبين شرائح المجتمع المختلفة، وتوعيتها بأهمية الجهاد في سبيل الله، إنقاذا لمدينة بيت المقدس، وغيرها، مما كان تحت سيطرة الصليبيين[41].

وبرز ذلك في نظرة العلماء والأدباء إلى خطوات صلاح الدين الأيوبي في إفشال تحالف زنكيي حلب، والموصل مع الصليبيين، نظرة قامت على ضرورة توفير الظروف الملائمة لتحرير بيت المقدس، وشد أزره، لإنجاز ذلك.

نجحت هذه السياسة، في إفشال ما كان يريده الزنكيون في حلب، والموصل من فرض طوق على صلاح الدين الأيوبي، وإجباره علـى الخضوع لهـم، بل انه – بحكم سياسته هذه – مَنْ تمكن من تطويقهم، وإضعافهم[42]؛ مما دفـع أمير حلب عماد الدين زنكي الثاني إلى إعلان خضوعه لصلاح الدين سنة (579هـ/1183م)، في إطار شروط طلبها، لم يتردد صلاح الدين في قبولها[43]، بل منحه أكثر مما اشترط، لكي يزيد زنكيي الموصل ضعفاً على ضعف، ولكي يقطع الصلة بينهم، وبين الصليبيين من جهة، والإسماعيلية من جهة أخرى[44].

ولم يلبث زنكيو الموصل أن وجدوا أنفسهم أمام ضغط أيوبي كبير، في أعقاب انضمام زنكيي حلب إلى جانب صلاح الدين، فآثروا سنة 582هـ / 1186م، أن يعلنوا خضوعهم اليه[45].

مع هذه السنة عادت البلاد تحت ظل صلاح الدين الأيوبي موحدة، كما كانت عليه في عهد نور الدين محمود ممتدة من الموصل على نهر دجلة، وحتى ما وراء ضفاف النيل في مصر، مما شكل تحقيقاً لأهم المرتكزات في السياسة التي اعتمدها صلاح الدين، والتي اعتبرها شرطاً ضرورياً لإيقاف **"طمع أهل الكفر في بلاد الإسلام"** [46].

أن هذا هو ما يفسر قرار صلاح الدين بالإعلان في السنة التالية لهذا التوحد (583هـ / 1187م)، عن التعبئة العامــة في صفوف قواته، والدخول في حرب مع الصليبيين[47]، والتي ابتدأت بمعركة حطين يوم الجمعة 24 ربيع الآخر 583هـ / 3 تموز 1187م، وانتهت بصلح الرملة سنة 588هـ / 1192م.

بدراسة مسيرة هذه الحرب، يتضح أن صلاح الدين الأيوبي نجح في تحقيق معظم أهدافه فيها، فقد استطاع أن يستنقذ معظم المدن التي كانت تحت هيمنة مملكة بيت المقدس، وكل من إمارة طرابلس، وأمارة انطاكيا[48]، إلا أن عدداً من العوامل، اضطرته إلى الدخول في مفاوضات مع الصليبيين بعد مرور خمس سنوات من الحرب، وهي:

1 – إدراكه لمدى ضخامة القوات المصاحبة للحملة الصليبية الثالثة، التي رأسها ثلاثة من كبار ملوك أوروبا[49].

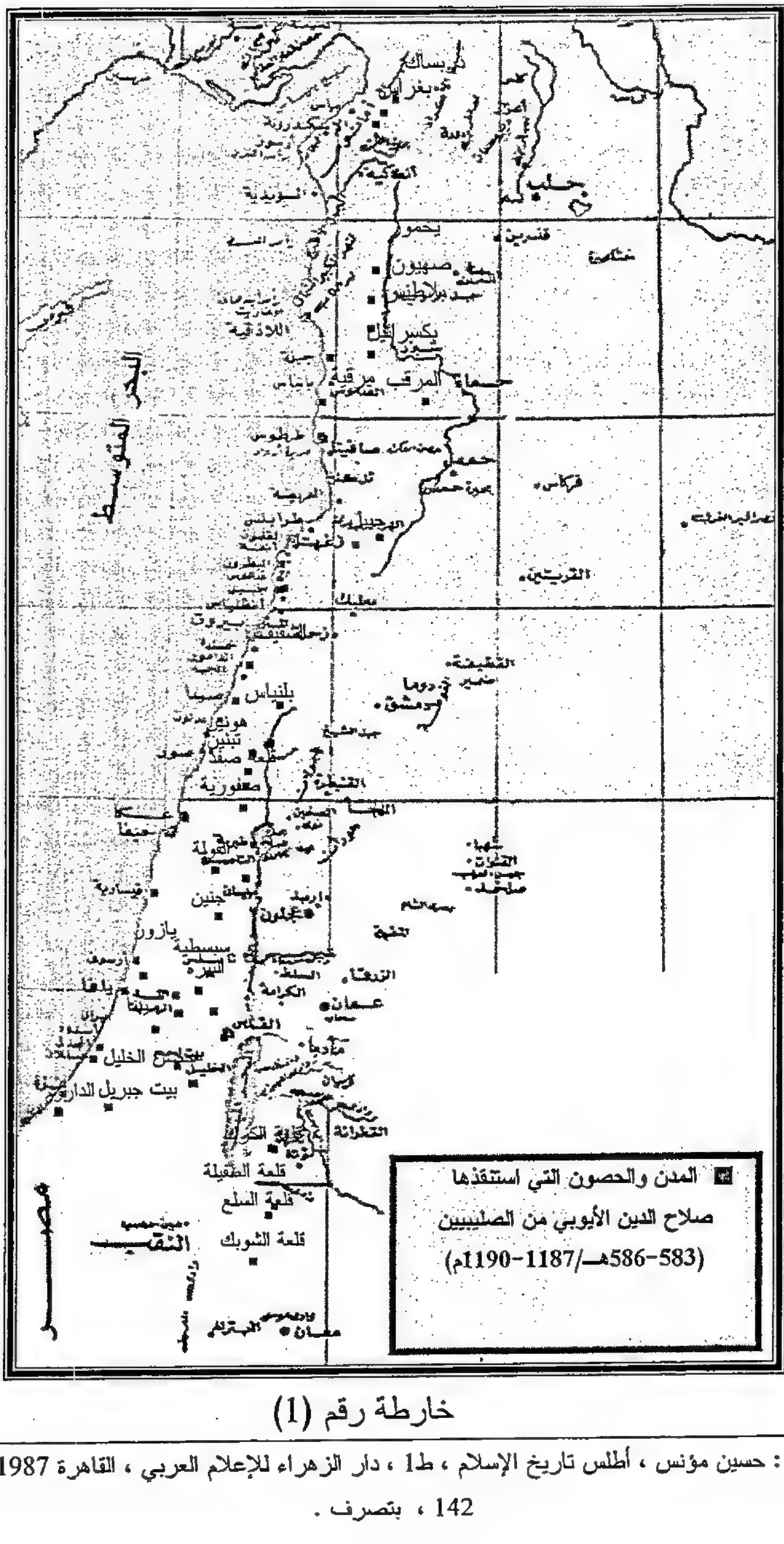
2 – فشل محاولات صلاح الدين الأيوبي في الحصول على إسناد عسكري إسلامي، يمكّنه من تحقيق تفوق على قوات الصليبيين المتمثلة بالحملة الصليبية المشار إليها، وبقوات الصليبيين المشارقة الذين كانوا يتركزون في صور، وغيرها من المدن[50].

3 – تراجع قدرات الجيش الأيوبي القتالية، بعــد أن بدت تظهر في صفوفهم معالم الضجر، مما يبدو مفهوماً في أعقاب حروب دامت عدة عقود، ودون توفر قوات إضافية يمكن استبدالها بها[51].

أمام هذه المتغيرات، حاول صلاح الدين الأيوبي، بل وقواته أيضاً - رغم ما أشير إليه من ضجر أصاب بعض عناصرها - مواجهة رجال الحملة الصليبية الثالثة، ونجحوا في إيقاف تقدمهم نحو بيت المقدس[52]، إلا أنهم، لم يستطيعوا حسم الموقف لصالحهم بشكل نهائي[53]، كما أن الصليبيين لم يتمكنوا - رغم كثرتهم - من تحقيق نصر حاسم على الأيوبيين، لذا فقد بادروا إلى طلب الدخول في مفاوضات[54]، وهو الأمر الذي لم يرفضه صلاح الدين للأسباب آنفة الذكر، حيث تبادل الطرفان اللقاءات التي استمرت من 26 رمضان 587هـ، وحتى 21 شعبان سنة 588هـ / 17 تشرين الأول 1191م[55] وانتهت بتوقيع صلح الرملة في 22 شعبان 588هـ / 2 أيلول 1192م الذي حُدد أمده بثلاث سنوات وثمانية أشهر[56]، وتم فيه إقرار الصليبيين على ما كان بأيديهم في الساحل، وأن تكون مدينة عسقلان خراباً، مع مناصفة مدينتي اللد، والرملة بينهم، وبين الأيوبيين، كما دخل في هذا الصلح كل من إمارة انطاكيا، وإمارة طرابلس، والإسماعيلية، وسمح بموجبه للفرنج بزيارة القدس[57].

وإذا كان صلاح الدين الأيوبي قد وقع على صلح الرملة بينه وبين الصليبيين، تحت وطأة الظروف المحيطة به، أيوبياً وإسلامياً، فوافق على صلح الرملة بينه وبين الصليبيين، فإنه كان متخوفاً مما قد يخبئه المستقبل من متغيرات قد تتجاوز، حدود هذا الصلح، لغير صالح المسلمين.

أن هذا ما يفهم من حديث له مع كاتب سيرته، ورفيقه، بهاء الدين بن شداد الذي أسرّه بما كان يختلج في نفسه من مخاوف ، قُبَيْل توقيع الصلح المشار إليه، حيث قال له: "**أخاف أن أصالح وما أدري أي شئ يكون مني، فيقوى هذا العدو، وقد بقي لهم هذه البلاد ، فيخرجوا لاستعادة بقية بلادهم، وترى كل واحد من هؤلاء الجماعة** - يعني أولاده ، وبقية أمراء الأيوبيين- - **قد قعد في رأس تلة** - ويعني بذلك الإقطاعات التي كانت بأيديهم - **وقال: 'لا أنزل، ويهلك المسلمون'** " [58].



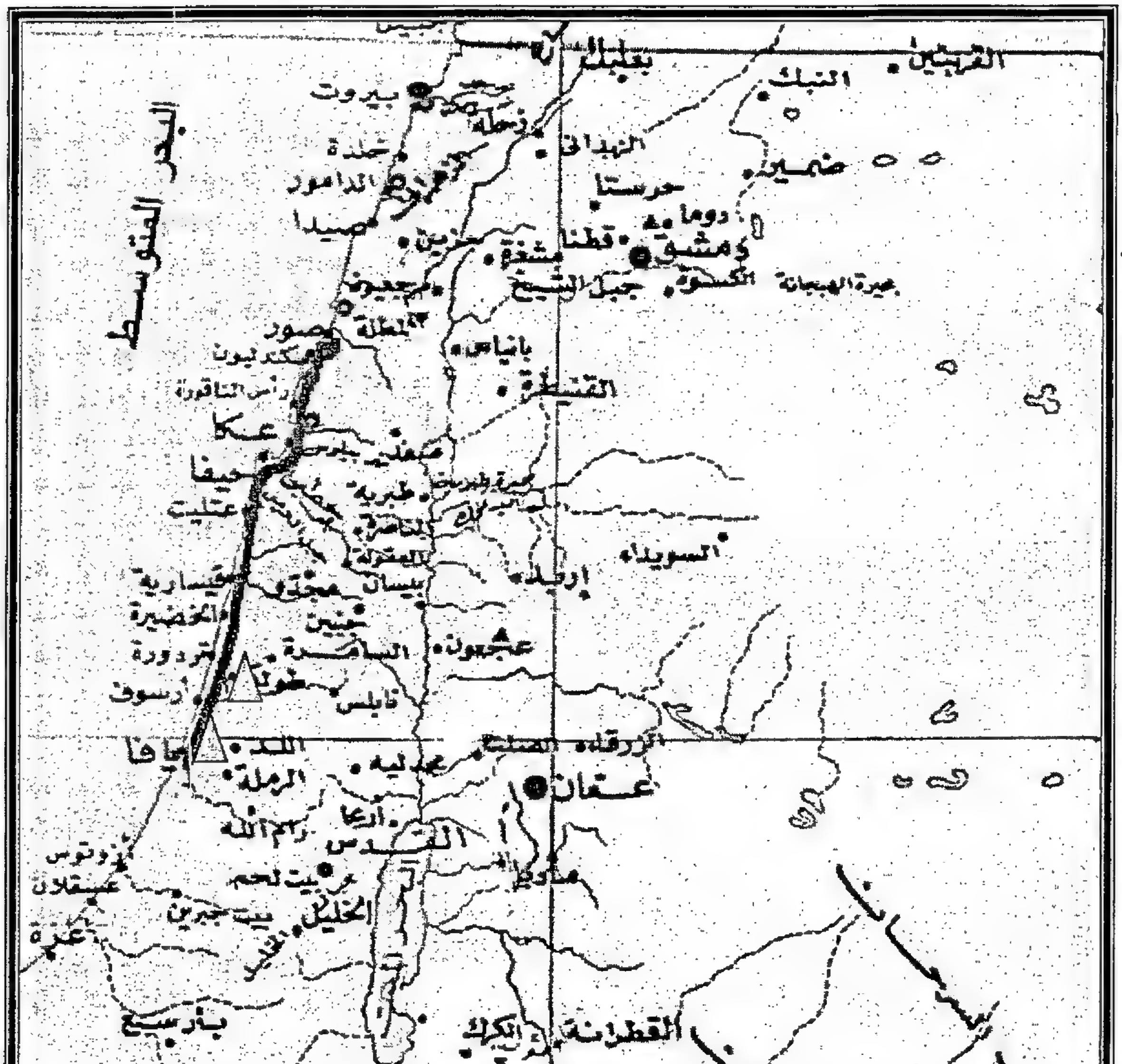
خارطة رقم (1)

نقلاً عن : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط1 ، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة 1987م ، ص 142 ، بتصرف .

يتضح من قول صلاح الدين هذا، أن الجبهة الأيوبية التي كان هو – بشخصيته القوية – من يمسك بزمامها، ويوحـــدها، في مواجهة الصليبيين، هي موضع تخوفه، إذ لم يتوقع، لو قُدِّرَ غيابه عن الساحة السياسية، لسبب أو لآخر، أن يستطيع الأمراء الأيوبيون من أبنائه، وأقربائه، وغيرهم، تجاوز مصالحهم الخاصة، والاتحاد في مواجهة العدو، كما توقع أن يكون هذا؛ في حالة حصوله، عاملاً في تقوية الصليبيين، وتزايد قوتهم، مما قد يدفعهم إلى الخـــروج على شروط الصلح، وشن حرب لاستعادة ما سبق أن كان بأيديهم من بلاد، قبل معركة حطين، وهو ما اعتبره صلاح الدين في حالة حصوله، هلاكاً للمسلمين.

توفي صلاح الدين الأيوبي، بعد صلح الرملة بسبعة شهور، وتولى السلطنة بعده ابنه السلطان الملك الأفضل، فهل تحقق ما كان يخشاه؟ وما مدى اتساق أو تباين السياسة التي تبناها السلطان الجديد، ومن أعقبه من سلاطين الدولة الأيوبية تجاه الصليبيين، عن ســياسة صلاح الدين الأيوبي؛ مؤسس هذه الدولة؟

هذا ما تحاول هذه الدراسة الكشف عنه.



خارطة رقم (2)

نقلاً عن : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص263 ، بتصرف .

الفصل الثاني

السياسة الايوبية تجاه الصليبيين إبّان حرب الوراثة

(589هـ-596هـ/1193-1199م)

انغمرت الدولة الأيوبية، بعد وفاة مؤسسها صلاح الدين الأيوبي، في صراع على السلطة، دام سبع سنوات (589-596هـ/1193-1199م)، فيما يعرف بحرب الوراثة [59].

ومع أن هذه الحقبة شهدت ثلاثة من السلاطين على رأس الدولة، إلا أن أياً منهم، لم يكن قادراً على ملأ الفراغ الذي تركه غياب صلاح الدين الايوبي عن الساحة السياسية، فقد كان اولهم، وهو السلطان الملك الأفضل (589-592هـ/ 1193-1195م)[60]، ذا شخصية ضعيفة قلقة، أفقدته القدرة على الحفاظ على وحدة البيت الايوبي[61]، واما ثانيهما؛ وهو السلطان الملك العزيز عثمان (592-595هـ/1193-1195م) [62]، فقد وقع تحت تأثير عمه الملك العادل[63] الذي كان له الفضل في إيصاله إلى السلطنة[64]، كما أنه لم يستطع أن يعالج ما أصاب وحدة البيت الأيوبي من وهن في عهد أخيه، لذا فان حرب الوراثة لم تلبث أن اتصلت بين الأمراء الأيوبيين في عهد ثالث سلاطين هذه الحقبة، وهو السلطان المنصور محمد بن العزيز عثمان (27 محرم 595 - 22 ربيع الآخر 596هـ/ 29 تشرين الثاني 1198م - 10 شباط 1200) والذي لم يكن يتجاوز من العمر تسع سنوات[65].

كان وجود الملك المنصور على رأس السلطنة، وهو في هذه السن الصغيرة، مدعاة احتدام الصراع المشار اليه من جهة[66]، وانتهائه من جهة اخرى، فقد تمكن الملك العادل من توجيه الاحداث لصالحه، وقام بعزل السلطان الصغير عن السلطنة وتسلم مقاليدها في 22 ربيع الآخر من سنة 596هـ/ 10 شباط 1200م، منهياً بذلك صراعات، دامت سبع سنوات[67].

ليس من شك ان حرب الوراثة هذه بسنواتها السبع، وبما اكتنفها من احداث افقدت الدولة الايوبية، تماسكها السياسي، والعسكري؛ ويعني هذا حالة من التراجع

في مسيرتها، قياساً على ما كانت عليه في عهد صلاح الدين الايوبي، ويعني ايضاً ضعف موقفها أمام الصليبيين، الذين كانوا آنذاك يحتفظون بمدن صور، وعكا، وحيفا، وقيسارية، وارسوف، ويافا[68].

ومع ان هؤلاء كانوا مرتبطين مع الأيوبيين باتفاقية صلح الرملة (22 شعبان 588هـ/ 2 ايلول 1192م)[69] فإن ما اشير اليه من ضعف اصاب هذه الدولة، كان مبرراً كافياً، لكي يفكروا باستغلال وضعها، ونقض الصلح المشار اليه، نحو ما يعيد مملكة بيت المقدس اللاتينية الى ما كانت عليه قبل سنة 583هـ/1187م.

والواقع أن طموحهم هذا كان موضع رعاية البابوية، فقد وجه البابا أنوسنت الثالث (cent IIIoInn) رسالة إليهم سنة 589هـ/1193م ؛ أي عقب وفاة صلاح الدين، طلب فيها منهم إعلامه بدقائق موقفهم في بلاد الشام، لكي يتخذ في ضوئها الإجراءات التي تساعدهم على إعادة المملكة اللاتينية إلى ما كانت عليه من قبل[70].

في إطار هذه المستجدات كان على الأيوبيين أن يحددوا سياستهم تجاه الصليبيين، فهل فعلوا ذلك، و ما هي أبعاد هذه السياسة ؟

1.2 السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد الملك الأفضل (589-592هـ/1193-1195م)

كان واضحاً أن هاجس الخوف من استغلال الصليبيين للظروف التي اعقبت وفاة صلاح الدين الايوبي (589هـ/1192م)، واحتمال نقض اتفاقية صلح الرملة الموقعة معهم قبل سنة من هذا التاريخ، هو ما سيطر على ذهن الملك الافضل منذ الأيام الاولى لتوليه السلطنة خلفاً لأبيه. وكان أول ما اشغله في هذا المجال احتياجات مدينة بيت المقدس من الاموال والرجال لتمكينها من "**مدافعة الفرنج**" [71]، غير أن من الغـرابة بمكان انه؛ وهو المقيم في مقر سلطنته في دمشق، على مقربه منها، ألا يتم ذلك على يده، فقد آثر أن يتنازل عن ارتباطها الإداري المباشر به، وأن يترك مسؤولية تأمين احتياجاتها المشار اليها، والدفاع عنها، إلى أخيه الملك العزيز عثمان، الذي كان آنذاك يحكم مصر نيابة عنه[72].

نفذ الملك العزيز عثمان اوامر أخيه السلطان الملك الافضل، فأرسل "**عشرة آلاف دينار**" إلى متولي القدس ؛ الامير عز الدين جرديك النوري، لينفقها في عسكر القدس كما بعث بقوات من مصر إليها[73] إلا انه فوجئ عقب ذلك، بتراجع السلطان عن خطوته هذه، وابقاء الوضع الاداري للمدينة مرتبطاً به[74].

أثار هذا التصرف رد فعل لدى الملك العزيز عثمان، والأمراء الأيوبيين المحيطين به في مصر، وبخاصة أن السلطان الملك الافضل لم يتخذ إلا اجراءات محدودة لتأمين حماية بيت المقدس[75]، مما يعني انها غدت نقطة ضعف قد يستغلها الصليبيون، تحقيقاً لحلمهم بالسيطرة عليها.

أمام هذا الموقف القلق والضعيف، تجرأ الصليبيون سنة 590هـ/1194م، على نقض صلح الرملة بين الطرفين، وبدأوا خطواتهم في هذا الاتجاه بتوسيع مناطق نفوذهم على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتمكنوا من الاستيلاء على مدينة جبلة[76]، كما نجحوا في إغراء صاحب مدينة جبيل الواقعة الى الشرق من بيروت، بالتنازل لهم عنها، مقابل اموال قدموها إليه سنة (590هـ/1194م)[77].

خرج السلطان الملك الأفضل على رأس قوة عسكرية سنة (590هـ/1194م) وتمكن من استعادة جبلة، إلا أنه فشل في استعادة مدينة جبيل[78].

جاء رد الفعل بين صفوف الامراء الأيوبيين في مصر كبيراً، فقد شعر هؤلاء، أن استيلاء الصليبيين على هاتين المدينتين، ليس الا مقدمة لسيطرة اكثر خطورة، بل أنهم توجهوا إلى الملك العزيز، و"**خوفوه من عاقبة أمر الفرنج**"، وحملوه جانبا من المسؤولية، كونه لم يتصدّ لأخيه "**وحسنوا [له] الاستبداد بالملك والقيام مقام أبيه**" [79]، وقالوا له: "**توانيت** – أي عن مواجهة السلطان – **فطرقت البلاد، واستولى عليها الفرنج**" [80]

استجاب الملك العزيز لدعوة أمرائه، وتحرك بقواته من مصر نحو بلاد الشام سنة 590هـ/1194م، لفرض هيمنته على أخيه السلطان الملك الأفضل، إلا أن صداماً عسكرياً لم يحصل بين الطرفين، ونجحت المفاوضات بينهما إلى تحقيق صلح أتفق بموجبه على ربط بيت المقدس، والأعمال المرتبطة بها، بالملك العزيز عثمان،

وربط مناطق جبله، واللاذقية، وبكسرائيل، وصهيون، بالملك الظاهر صاحب حلب[81]، وإبقاء دمشق وطبرية والغور مع السلطان الملك الأفضل[82].

كان لهذا الصلح وما تمخض عنه، أهمية كبيرة، فقد شكل التقسيم الجديد للمناطق والمدن في بلاد الشام، وجوداً ضاغطاً على بقايا الكيانات الصليبية الثلاث في أنطاكيا، وطرابلس، وعكا، ويبدو أن هذا الوجود العسكري، أشعر الصليبيين بقوة الموقف الأيوبي، مما خلق ظروفاً ملائمة، ساعدت على قيام مفاوضات بين السلطان الملك الأفضل، وبين الصليبيين بتوسط بيزنطي، انتهت بإعادة جبيل[83].

لم تفلح جهود السلطان الملك الأفضل هذه في تحسين صورته أمام أخيه الملك العزيز صاحب مصر، فقد خرج بعساكره ثانية من مصر سنة 591هـ/1194م بهدف السيطرة على دمشق.

ومع أن الملك العزيز فشل في تحقيق ذلك، واضطر لتوقيع صلح مع أخيه السلطان، إلا أنه حصل بموجب هذا الصلح على مناطق، ومدن جديدة، في بلاد الشام، منحته موقعاً حيوياً في مواجهة الصليبيين[84].

لتثبيت شرعيته حكم السلطان الملك الأفضل، ومعالجة إشكالية اتهامه بالضعف أمام أخيه الملك العزيز، حاول السلطان الملك الأفضل في أعقاب الاتفاق آنف الذكر، تحقيق دور فاعل له، في مواجهة الصليبيين، وبخاصة أنهم قاموا سنة 592هـ/ 1196م بمهاجمة مناطق غرب بيروت، وسكانها من البحتريين[85] والتنوخيين، وقتلوا الكثير منهم، وخربوا حصونهم، فبادر في الكتابة إلى زعيمهم؛ الأمير جمال الدين حجي بن كرامة التنوخي[86]، يُرَغّبه، ويستعطفه، ويحثه على مواصلة الجهاد ضد الصليبيين "**وأنه اقطعه الغرب، جميعه**" [87].

يلاحظ أن السلطان في رسالته هذه، لم يقتصر على التقرب من الأمير التنوخي، ومن معه من بني قومه، بل طلب منه "**أن يُحَلّف أقاربه على الطاعة السلطانية**" [88] لضمان ولائهم له، مما يبدو انه محاولة للإفادة منهم في أية مواجه عسكرية محتملة مع أخيه، ونائبه في مصر، الملك العزيز عثمان الذي كان دائم الاتهام له بالتفريط بالبلاد، وعدم الوقوف بوجه أطماع الصليبيين.

لم تحقق خطوات السلطان الملك الأفضل نجاحاً، في تحسين موقفه أمام منتقديه، ونعني بذلك؛ أخاه الملك العزيز، وعمه الملك العادل، والأمراء الأيوبيين في مصر، كما أنه لم تثن هؤلاء عن القيام ثالثة بالتوجه نحو بلاد الشام سنة 592هـ/ 1196م وحصار دمشق حتى سقطت بأيديهم، مما أضطر السلطان الملك الأفضل إلى التنازل عن السلطنة، لصالح أخيه الملك العزيز في 26 رجب 592هـ/25 حزيران 1196م، والتوجه إلى صرخد[89].

يتضح مما ورد آنفاً أن سياسة الأيوبيين تجاه الصليبيين في عهد السلطان الملك الأفضل تحرت الحفاظ على مضمون صلح الرملة، ومواجهته لأية محاولة من قبل الصليبيين للخروج عليه، ويبدو أنها –وبفعل تأثير الشخصيات الأيوبية الملتزمة في هذه السياسية المتمثلة في الملك العزيز، والملك العادل، والملك الظاهر– نجحت في الضغط على السلطان الملك الأفضل الذي اتهم بالضعف في تنفيذ سياسة حازمة تجاه الصليبيين، وتمكنت من تحقيق أهدافها هذه مما يفسره محدودية التجاوز الصليبي خلال هذا العهد.

2.2 السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد الملك العزيز عثمان 592-595هـ/ 1195-1198م

بإزاحة الملك الأفضل عن السلطة، وانتقالها إلى الملك العزيز عثمان سنة 592هـ /1195م، وتسلم الملك العادل لدمشق واعمالها، غدت الدولة الأيوبية تُحكَم من قبل الجناح الاكثر تشدداً تجاه الصليبيين، فقد سبق القول ان هاتين الشخصيتين، كانتا على رأس مجموعة من الامراء الايوبيين الذين أخذوا على السلطان الملك الأفضل ضعفه في مواجهة الصليبيين[90]، فهل يعني ذلك ان السياسة الايوبية تجاههم غدت اكثر شدة في عهد السلطان الجديد ؟ وهل أخذت مساراً مختلفاً ؟

لم تتغير أهداف السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في هذا العهد، عما كانت عليه، ولكن السلطان الجديد تَمَيَّزَ بعدم تردده في تنفيذ هذه السياسة بإحكام ؛ فقد اتبع وسائل متعددة لتأمين تنفيذها، في إطار من الحرص على إبقاء حالة الصلح والمهادنة

مع الصليبيين، هدفاً مركزياً له، أما وسائله لتنفيذ هذه السياسة فيمكن حصرها بما يلي:

أولا: إشعار الصليبيين بقوة الدولة ، وقدرتها على توجيه هجمات موجعة إليهم.

ويلاحظ ذلك في قيـــام أسطول أيوبي، بمهاجمة مراكب للصـــليبيين، والسيطرة على إحدى بطسياتهم سنة (592هـ/1195م) [91]، والاستيلاء على ما فيها من أموال[92]، وقيام قوات أيوبية بأعمال مماثلة، بين سنتي (593-594هـ /1196-1197م)، فقد "**تحرش الملك العادل بالفرنج**"[93] وتوجه سنة 593هـ/1196م على رأس جيشه نحو أطراف بيروت ، رداً على تحركات لهم فيها[94].

ثانيا : التصدي لأي تحرك للصليبيين، خلافاً لاتفاقية صلح الرملة.

لم تتوان الدولة الأيوبية في هذه الحقبة عن مواجهة أية تحركات معادية قام بها الصليبيون، خلافاً لاتفاقية صلح الرملة، حيث واجهتها بقوة، وهو ما يلاحظ في ردها على قيامهم بمهاجمة السواحل القريبة من بيروت[95]، واللاذقية، وجبلة[96] وصـــور، وصيدا[97] سنة 593هـ/1197م، ثم مهاجمتهم تبنين[98] سنة 594هـ/ 1198م، فقد تحرك الملك العادل بقواته لصدهم، فلما علم - خلال ذلك - بعجز واليها عز الدين أسامة[99] ومن معه من قوات، اتجه نحو السواحل الجنوبية، وهاجم الصليبيين في مدينة يافا، وأســـر منهم أعداداً كبيرة[100]، واستولى عليها، وذلك في شوال سنة 594هـ/ آب 1198م[101]، وحين علم الملك العادل بمهاجمة أعداد كبيرة من الصليبيين مدينة بيروت، وتمكنهم من الســـيطرة عليها، ثم قيامهم بمهاجمة الجليل، وأطراف مدينة بيت المقدس، وقتلهم وأسرهم أعداداً كبيرة من المسلمين[102]، في السنة نفسها، استنجد على الفور بالسلطان الملك العزيز عثمان في مصر، فتحرك هذا على رأس قواته التي انضمت اليها قوات من القدس، ونابلس، والجزيرة، والموصل، فاتجهوا جميعاً نحو تل العجول بالقرب من غزة، وهاجموا الصليبيين، "**فقتلوا منهم جماعة، واسروا جماعة، ورجعوا بغنائم كثيرة**"[103] ، واضطر الصليبيون إلى الهرب نحو عكا وصور.

ثالثا : تهديم بعض المدن والقلاع الحصينة، منعا لاســتفادة الصليبيين منها.

كان الأيوبيون مدركين أن نقطة الضعف الجوهرية في موقفهم، أن الصليبيين يمتلكون إسناداً عسكرياً وبشرياً كبيراً، جراء مساندة غرب أوروبا والبابوية لهم، في حين أنهم – أي الأيوبيين – لم يكونوا يمتلكون إســناداً مماثلا من العالم الإسلامي، لذا فقد تحوطوا، أمام احتمالات قدوم حملة صليبية غازية نحوهم، بتهديم بعض الموانئ، والمدن، والقلاع، لكي لا تكون عامل قوة بيد الصليبيين في حالة سقوطها بأيديهم، لذا فقد أمر الملك العادل سنة 593هـ/1196م بهدم ربض مدينة بيروت[104]، ثم قام في السنة ذاتها بتخريب المدينة نفسها[105] إضافة إلى تخريب مدينة صيدا، والمناطق المحيطة بمدينة صور، وحرق أشجارها، وأبراجها[106]، كما قام بتخريب مدينة عسقلان سنة 594هـ/1197م[107].

ليس من شك أن اللجوء إلى مثل هذه الإجراءات يعكس مظهراً من مظاهر ضعف الدولة الأيوبية، وهو ما عناه المقريزي في تعقيبه على ذلك حيث قال: **"عجز الملوك عن ممانعة الفرنج بالسلاح، واضطرارهم إلى هدم المدن، وتعفية رسومها"**[108].

رابعا : إيثار مهادنة الصليبيين بما يحفظ التوازن السياسي بين الطرفين.

يلاحظ أن الدولة الأيوبية في حقبة الملك العزيز عثمان، لم تكن هي البادئة بأية هجمات على الصليبيين، إلا في حالات محدودة، كما يلاحظ أنها في جميع الحالات التي اضطرت إلى الدخول معهم في حرب، حصرت دائرة عملياتها العسكرية، بما يعيد العلاقات بين الطرفين إلى ما كانت عليه، بموجب صلح الرملة، أو أية اتفاقات قائمة بينهما، تؤمن حالة من التوازن، تحافظ على مضمون هذا الصلح، إلا في حدود يسيرة، وهذا ما يمكن ملاحظته عند هجوم الصليبيين على تبنين في منتصف محرم سنة 594هـ/1198م[109]، رداً على قيام الملك العادل بالاستيلاء على مدينة يافا، فعلى الرغم من احتدام المعارك بين الطرفين طوال السنوات الثلاث من حكم الملك العزيز عثمان، إلا أن الأيوبيين آثروا التوصل إلى صلح مع الصليبيين، وعقدوا في 14 شعبان من سنة 594هـ/ 21 حزيران 1198م، هدنة أمدها ثلاث سنوات[110] تضمنت، احتفاظ

الصليبيين ببيروت وجبيل، واحتفاظ الأيوبيين بيافا وتبنين[111]، ومناصفة صيدا بين الطرفين[112]، ومنح الصليبيين الأمان على أنفسهم وأموالهم[113].

في إطار هذه الصورة يمكن تقييم السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد السلطان الملك العزيز عثمان، بأنها حالة متقدمة على ما كانت عليه في عهد السلطان الملك الأفضل، فقد تحرّت وقف اعتداءات الصليبيين، ومنعهم من التوسع على حساب الأراضي الأيوبية، مؤثرة الارتباط معهم بمعاهدات، تقر بوجودهم، وتحول دون الإخلال بالتوازن السياسي والعسكري بين الطرفين، مما جعل الموقف الأيوبي مرجحاً نسبياً، على الموقف الصليبي.

الفصل الثالث

السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد السلطان الملك العادل (596-615هـ/1199-1218م)

مع أن للصمود الذي أبداه الأيوبيون في صَدَّ محاولات الصليبيين ضدهم في عهد الملك العزيز عثمان، والذي انتهى بتوقيع هدنة في 14 شعبان من سنة 594هـ / تشرين الأول 1197م بين الطرفين، الأثر الكبير في تحويل موازين القوة بينهما لصالح الطرف الأيوبي، فإن تولي الملك العادل، وهو الرجل القوي، ذو الخبرة والكفاءة، الواسعتين[114]، السلطنة في 22 ربيـــع الآخر سنة 596هـ/10 شباط 1200م[115] هو ما أضفى على الموقف الأيوبي، قوة جديدة.

إن هذا ما يفسر غياب أية تحركات جديدة للصليبيين طوال السنوات الخمس الأولى التي أعقبت توقيع المعاهدة المشار إليها (594-599هـ/1197-1202م)[116].

ويبدو أن شعور الصليبيين بضعف موقفهم أمام الأيوبيين، هو ما دفع بهم للدعوة إلى حملة صليبية جديدة، تعيد التوازن لصالحهم، وتوفر لهم أرجحية، تمكنهم من التخطيط لاستعادة ما كانوا يعتبرونه ممتلكات سابقة لهم ؛ وعلى رأس ذلك بيت المقدس[117]، وهو الأمر الذي دعمهم فيه، البابا أنّوسِنت الثالث (Innocent III)[118].

كانت أولى بوادر نجاح الصليبيين في دعوتهم هذه، وصول ثلاثمائة فارس صليبي إلى عكا، سنة 599هـ/1202م، وقد كان هؤلاء على قدر كبير من الحماس، فاندفعوا فور وصولهم بمطالبة عموري الثاني (Amarlic II)؛ ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية ؛ المقيم آنذاك في عكا، أن يسمح لهم بمهاجمة الأيوبيين، لاسترجاع مدينة بيت المقدس منهم[119].

ومع أن الملك عموري لم يسمح لهم بذلك، وآثر التريّث حتى وصول الحملة الصليبية المتوقعة[120]، فإن الأجواء بدأت تتجه نحو التوتر، بل أنها غدت مؤهلة لتصادم واسع النطاق، وبخاصة بعد أن وصلت في السنة ذاتها أنباء عن " **تحرك أهل صقلية لقصد ديار مصر**"[121]، وقيامهم بمهاجمة قافلة مصرية، كانت متجهة إلى اللاذقية، واستيلائهم عليها، إضافة إلى إغارتهم على إقليم الجليل[122]، فما هو

رد فعل السلطان الملك العادل تجاه هذه المتغيرات ؟ وما هي السياسة التي حكمت رد فعله هذا ؟

كان السلطان الملك العادل مدركا لمدى خطورة استجابة الغرب الأوروبي لنداء صليبييّ المشرق، بإرسال حملة صليبية جديدة لغزو بلاده، وبخاصة أنه لم يكن يمتلك إسنادا مماثلا، من القوى الإسلامية المحيطة به، وعلى رأس ذلك دولة الخلافة العباسية التي ينتمي إليها، لذا فقد بادر إلى اتخاذ جملة من الإجراءات الاحتياطية؛ ومن ذلك محاولته إشعار الصليبيين بقوته، حين تجاهل شكواهم اليه من تكرار الحملات البحرية التي شنها أحد الأمراء التابعين له سنة 599هـ/1202م؛ وهو عزالدين أسامة ؛ أمير بيروت، عبر سواحل أنطاكيا، واللاذقية، وصيدا، وسواحل قبرص[123]، كما قام في الوقت ذاته، بزيادة تحصينات بلاد الشام، فبنى حول دمشق فصيلا بالحجر والجير "**من سفل الخندق إلى مقدار قامة**" [124]، كما عمّق هذا الخندق وأجرى الماء فيه، وأرسل عساكره لهدم مدينة جبلة، وقلعة اللاذقية[125]، كما أرسل عساكر إلى مصر، إسناداً لها، وتحسّبا لأي هجوم محتمل للصليبيين عليها[126]، كما بعث "**خمسمائة فارس، ومائة راجل، مع مجموعة من الحجارين، والنقابين، والزَرَدْخَانَاة** "[127] كان الملك الظاهر أرسلهم من حلب، للمساهمة في التصدي للصليبيين[128].

لم يكتفِ السلطان الملك العادل بهذه الإجراءات بل خطى خطوة ذكية فعقد معاهدة مع البنادقة في ربيع سنة 599هـ/أيار 1202، منحهم بموجبها امتيازات تسهل مصالحهم التجارية في بلاد الشام ومصر، فاستطاع بذلك تحييد هذه القوة البحرية والتجارية المهمة[129]، بل أنه حصل على تعهد منها، بعدم مساعدة أي مشروع صليبي ضد مصر، مقابل الامتيازات التي منحها لهم، ومنها إلغاؤه مختلف أنواع الرسوم الجمركية على نشاطاتهم التجارية في مصر، وتقديم تسهيلات إدارية، وقضائية[130]، وبناء فنادق وكنائس في الاسكندرية وجبيل واللاذقية وحلب، كما تعهد بحمايتهم في بلاده، مما ترتب عليه قدوم أعداد كبيرة من التجار الفرنج للتجارة ونقل الأسلحة والأخشاب إلى مصر [131].

كان لهذا التحالف أثره في إفشال الحملة الصليبية الرابعة، فقد لعب البنادقة دورا في دفعها نحو القسطنطينية، بدلا من الاستمرار في التوجه نحو بلاد الشام، باتفاق تم بينهم، وبين قائد الحملة، بُونِيفاس مونتفيرات[132].

وفي حين كان الملك العادل يتخذ إجراءاته هذه، كان الصليبيون في كل من عكا، وطرابلس، وأنطاكيا، والمرقب، وحصن الأكراد، قد ارتفعت معنوياتهم بعد وصول أعداد كبيرة من الصليبيين الأوروبيين، مما ظنوه مقدمة للحملة الصليبية المتوقعة[133]، لذا فقد بادروا إلى خـــرق ما بينهم وبين الأيوبيين من معاهــدات، وجاءوا من حصن الأكراد، والمرقب، وطرابلس، والحصون التي حولها، بفارسهم، وراجلهم، وتجمعوا حول مدينة حماة.

رداً على هذا التحرك توجه الملك المنصور[134] ؛ صاحب هذه المدينة على الفور، نحو مدينة بعرين[135] لمراقبة تحركات الصليبيين، كما قام، في الوقت ذاته، بإعلام السلطان الملك العادل بهذه المتغيرات، وبالإجراءات التي اتخذها[136].

نظر السلطان الملك العادل باحترام كبير، لموقف المــلك المنصور هذا، وأعطى أوامره للقوات الأيوبية في كل من حمص، وبعلبك، بالتوجه إليه لمساندته في تصدّيه للصليبيين[137]، فلما علم بتباطؤ صاحبي هاتين المدينتين، الملك المجاهد[138]، والملك الأمجد بهرام شاه[139] عن إرسال قواتهما، أمرهما بتعجيل التحرك، وأن يسندا الملك المنصور " **على جهاده ومرابطته** " وأمرهما بالانقياد إلى " **آرائه وطاعته** "[140]، كما طلب من صاحب مدينة حلب ؛ الملك الظاهر، أن يُسَيِّر عساكره إليه[141] أيضا.

استطاع الملك المنصور وبإسناد من القــوات التي زوده بها السلطان الملك العادل، من تحقيق نصر كبير على الصليبيين في معركة حاسمة في 3 رمضان سنة 599هـ/ تشرين الثاني 1202م[142]، حيث "**... هزمهم، وأخذ جماعة من مقدميهم، وخيالتهم، وبعث بهم إلى حماة...**"[143].

كان أثر هذه الهزيمة على الصليبيين كبيراً، وبخاصة الاسبتارية منهم[144]؛ الأمر الذي دفعهم إلى التوسط بفرسان الداوية الذين كانوا آنذاك على علاقة حسنة بالملك المنصور، لكي يشجعوه على عقد صلح معهم، فأرسل هؤلاء مندوبا عنهم

إليه، إلا أنه رفض طلبهم، لذا فقد تجمعوا ثانية، وانضم إليهم مجموعة من صليبييّ غرب أوروبا، الذين كانوا قد وصلوا إليهم آنذاك، فقام " **أربعمائة فارس، وألف ومائتا راجل، ومجموعة كبيرة من تُركُبُلية، وجَرْخية، ورماة زَنْبورُك** "[145] بمهاجمة مدينة بعرين في سنة 599هـ/1202م[146]، غير أنهم لم يستطيعوا أن يحققوا أهدافهم، بل أن الملك المنصور هزمــهم " **وقتل منهم مقتلة عظيمة** " [147]، وحمل أسراهم إلى حماة.

عاد الاسبتارية بعد هزيمتهم هذه لطلب الصلح ثانية، فكتب الملك المنصور يستشير السلطان الملك العادل في ذلك، فكتب إليه بأخبار نصره عليهم، وطلبهم الصلح منه[148].

جاء جواب الملك العادل مرنًا وقويًا، فقد خوّل الملك المنصور، باعتماد ما يراه صوابا، ولكنه في الوقت ذاته، أعلمه بالمعلومات التي وفرتها له أجهــزته عنهم، وعن مدى قوتهم، فقال : " **وأما الفرنج، فإن مادتهم قليلة، ونجدتهم متأخرة، وقد وصلت الكتب من كل جهة، تخبر بضعفهم... والثغور بحمد الله قد تحصنت، والأمراء والعساكر إليها قد جُرّدت، وهي بهم قد مُلئت وشُحنت** " [149]، ومع أن السلطان الملك العادل خوّل الملك المنصور بالتصرف، إلا أنه طلب منه أن " **يُقَوّيَ عليهم القَوْلَ، ويشــدد عليــهم الطّوْلَ** " [150].

انسجاماً مع جواب السلطان، استمرت قوات الملك المنصور مرابطة في قلعة بعرين، تتربص تحركات الصليبيين، طوال الأشهر الأربــعة الأخيرة من سنة 599 هـ/1202م، وردحاً من اشهر السنة التالية[151]، إلا أن الموقف بدأ يجنح نحو الاستجابة لطلب الصلح، بعد أن تكررت طلبات الصليبيين الاسبتارية بصدده، وانتهى الأمر إلى عقد هدنة معهم سنة 600هـ/1203م[152].

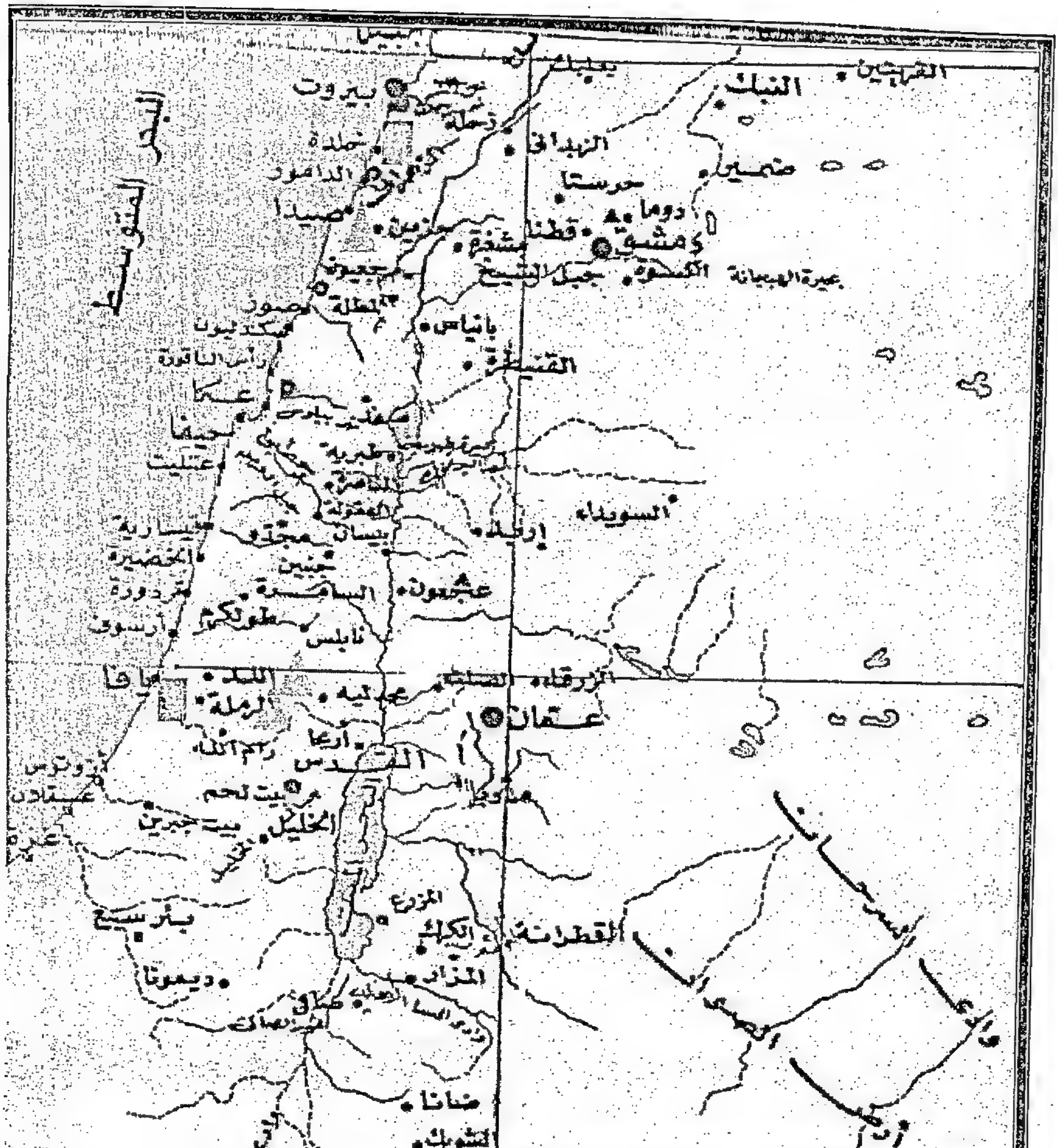
ويبدو أن الهدف من موافقة الأيوبيين على هذه الهدنة مع الاسبتارية، بعد أن رفضوها من قبل، الرغبة في تحييدهم عن نشاطات معادية، بدأها الصليبيون في عكا سنة 600هـ/1203م، فقد اجتمع منهم " **فيها جمع عظيم، وجاءوا من كل فج، وعزموا على قصد بيت المقدس، واستنقاذه من أيدي المسلمين** " [153]، بل أنهم أخذوا في الإغارة، ونهبوا كثيرا من البلاد وسبوا وقتلوا.

لقد كان تحرك الصليبيين هذا خطيراً، لأنه تزامن مع ما كان متوقعا من اقتراب وصول الحملة الصليبية الرابعة، لذا فقد أعلن السلطان الملك العادل التعبئة العامة و" **كتب إلى سائر البلاد يستدعي النجدة، فجاءته... من كل ناحية** "[154].

قاد الملك العادل عساكره، ونزل بهم بالقــرب من مدينة الطور، المواجهة لعكا، استعدادا لمواجهة تحركات الصليبيين، في الوقت الذي استمر فيه الصليبيون في مهاجمة المـــدن الأيوبية، فقد أغاروا "**على كفركنا، وأخذوا كل من بها** "[155]، كما بعثوا بأسطولهم إلى مصر، فتمكن من الدخول إلى نهر النيل من جهة رشيد، ووصلوا إلى مدينة فوة واستمروا " **ينهبون ويسبون** "[156] خمسة أيام فيها، دون أن يجدوا من يصدهم من الأيوبيين عنها، بسبب عدم وجود أسطول أيوبي هناك[157].

وبينما كان الطرفان في حالة من التأهب للاقتتال، إذا بالأخبار تصل سنة 600هـ/ 1203م، منبئة بانحراف الحملة الصليبية الرابعة عن خطها المعلن، وهو بلاد الشام، واتجاهها نحو القسطنطينية واحتلالها، وإسقاط الدولة البيزنطية، مما أشعر الصليبيين في المشرق بحرج موقفهم، وهيأ الظروف لإقامة صلح مع الأيوبيين فترددت الرسل بينهما، وتم عقد صلح سنة 601هـ/1204م أمده ثلاث سنوات[158]، تنازل السلطان الملك العادل بموجبه عن يافا، وبيروت، والناصرة، وعن حقه في مناصــفات مدن: اللد، والرملة، وصيدا، وتعهد بتسهيل أمور الحجاج إلى بيت المقدس، والناصرة، وأن يكون للسلطان الملك العادل دمشق وأعمالها وما كان بيده من بلاد الشام[159].

ومع أن هذه الهــدنة كــان لها أثرهـــا في استقرار الأوضـــاع بـــين الأيوبيين والصليبيين في عكا، طوال الســنوات السبع التالية (601 – 607هـ/1204– 1210م)، فقد تفجرت الأوضاع ثانية بينهما، بعد عقد المعــاهدة آنفة الذكر، بسنة واحدة، فقد هاجم الاسبتارية، و" **جمعٌ عظيم** "[160] من الصليبيين، انضم إليهم ؛ مدينة حماة، "**فنهبوا، وقتلوا، وسبوا** "[161]، ثم رجعوا إلى أماكنهم " **بعد أن ملأوا أيديهم بالسبي...** "[162]، كما هاجموا مدينة حمص " **وقتلوا وأسروا جماعة** "[163] فيها، وقام الصليبيون في طرابـــلس في الســـنة ذاتها، بمهاجمة مدينتي جبلة، واللاذقية ؛ وهما تابعتان لصاحب حلب ؛ الملك الظاهر، " **فقتلوا من المسلمين جماعة كثيرة**"[164]، ثم عادوا إلى طرابلس " **وقد ملأوا أيديهم بالسبي والغنائم** "[165].



خارطة رقم (3)

نقلاً عن : حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص263، بتصرف.

ومع أن كلاً من الملك المنصور؛ صاحب حماة، والملك المجاهد ؛ صاحب حمص، حاولا التصدي لهذه التحركات المعادية، فقد استمر الصليبيون بالتحرش بهذه المدينة، أو تلك، سنة 603هـ/1206م، مما دفع بالسلطان الملك العادل إلى التوجه على رأس قوّاته من مصر لوضع حد لذلك، فقام بمهاجـمة الصليبيين في عكا، فاضطروا لمصـــالحته وأطلقوا "**جميع من في أيديهم، من أسرى المسلمين**" [166]، ثم اتجه نحو مدينة حمص التي كانت قد تعرضت إلى هجمـــات صليبيي طرابلـــس أكثر من مرة، " **واستدعى الملوك من أهل بيته، والعساكر، فجاؤوه من كل ناحية** " [167] وهم: الملك المنصور؛ صاحب حمـــاة، والملك المجاهد؛ صاحب حمص، والملك الأمجد؛ صاحب بعلبك، وولداه المعظم[168]، والأشرف[169]، إضافة إلى عساكر سنجار، والموصل، والجزيرة، وآمد، وبلغ عدد العساكر المجتمعة عشرة آلاف فارس[170] فتوجه السلطان بهم نحـــو حصن الأكراد؛ وهو احد مواقع الاسبتارية، " **فنازله وقاتل أهله أشد قتال** " [171]، وتمكن من تحرير برج قريب يســـمى برج اعناز[172]، وأسر خمسمائة رجل فيه، واستولى على أموال، وسلاح كثير[173]، كما سيطر على قلعة قريبة من طرابلس، واستولى على ما فيها[174]، ثم ركز هجماته على مدينة طرابلس نفسها " **فنصب عليها المجانيق، وضيق على أهلها أشد تضييق** " [175]، وقامت العساكر بتخريب قرى المدينة، وبساتينها، وأشجارها.

استمرت تحركات الملك العادل هذه حتى أواخر سنة 603هـ/1206م، مما اضطر الصليبيين في طرابلس إلى المراسلة في طلب الصلح، وقدِمُوا لذلك، وأرسلوا إلى السلطان " **مالاً، وثلاثمائة أسير**" [176] فأجابهم إلى ما أرادوا.

ويبدو أن السلطان الملك العادل أراد ترصين مواقع قواته دفاعاً، أو هجوماً، أمام أية احتمالات لتحرك صليبي جديد، فأمر في السنة ذاتها، ببناء قلعة حصينة في مدينة الطور الأيوبية، على مقربة من مدينة عكا[177].

كان لحملة الملك العادل هذه أثرها في تحجيم تحركات الصليبيين، إذ لم تشهد البلاد أية تحركات معادية خلال السنتين التاليتين (603-605هـ/1206-1208م) بيد أن الاسبتارية، قاموا سنة 605هـ/1208م بمهاجمة حماة التي "**...عاثوا فيها**

فساداً"[178]، كما قام صليبيو طرابلس، وحصن الأكراد، بمهاجمة حمص[179]، وتكرر ذلك سنة 607هـ/1210م بتحشيد قوات كبيرة في عكا[180]، إضافة إلى هجومهم على قرية بورة واستباحتها[181]، وأعقب ذلك بقرابة سنتين هجوم واسع على البلاد قام به الصليبيون القادمون من قبرص، وعكا، وطرابلس،.وأنطاكيا[182].

جاء رد الملك العادل تجاه هذه التحركات المعادية محدودا، فقد شن هجمات كان غرضه منها، مجرد تهدئة الأوضاع، فقد هاجم سنة 605هـ/1208م، الصليبيين في طرابلس، واستولى على حصن عائد لهم[183]، كما أعطى أوامره لابنه المعظم عيسى صاحب دمشق، أن يرد على هجماتهم فقام بغزو ضواحي عكا سنة 607هـ/1210م[184]، وان يقيم في قلعة الطور، مما شكل رادعاً للصليبيين للقيام بأية هجمات، فاضطروا الى توقيع هدنة جديدة مع الملك العادل أمـدها خمس سنوات، اعتبر تنفيذها سارياً في محرم سنة 609هـ/ تموز 1212م [185]، وتم بموجبها إطلاق أسرى المسلمين[186]. وقد واجهت هذه السياسة تجاه الصليبيين غضباً شعبياً، ومن مظاهر ذلك قيام امرأة في دمشق بقص شعرها وإرساله مع ضفائر نساء أخريات إلى الملك العادل طالبة منه ان يجعله قيداً لحصانه، اشعاراً له باستهجانها لسياسته تجاه الصليبيين، ومن ذلك قيام المؤرخ سبط ابن الجوزي الدمشقي (ت. 654هـ/ 1256م)، بإقامة مجلس وعظ سنة 607هـ/1210م في دمشق رافضاً سياسته تلك[187].

لم يكن الوضع الذي انتهى إليه أمر الصليبيين سواء في عكا أو في كل من طرابلس، وأنطاكيا ليرضيهم، لذا فقد تجددت اعتداءاتهم سنة 611هـ/1214م، وكانت من السعة بمكان، فقد كانوا في حال تطلع دائم، لوصول حملة صليبية جديدة من غرب أوروبا، تعوضهم عن فشل الحملة الصليبية الرابعة، وتمكنهم من تحويل موازين القوة لصالحهم، واستعادة ما كانت عليه مملكة بيت المقدس، وبقية الإمارات من قبل[188]، وقد تحقق حلم الصليبيين هذا سنة 614هـ/1217م، وبدأت طلائع الحمـلة المتوقعة؛ وهي الحملة الخامسة تصل إلى عكا في جماعات كبيرة من الصليبيين " **تواصلوا في البحر، يتلو بعضها بعضا**" [189]، وكان على رأسها شخصيات صليبية كبيرة [190].

ركز رجال الحملة في الأشهر الأولى بعد وصولهم إلى بلاد الشام على " **قصد بيت المقدس الشريف، وانتزاعه من أيدي المسلمين، واسترداد كل ما أخذ من البلاد الساحلية** " [191].

أدرك السلطان الملك العادل، أن حجم القوات الصليبية يفوق القدرات العسكرية المتوفرة لديه، لذا فقد اعتمد في مواجهته لهم، خطـــة ترتكز على ما يلي:

أ – التوجه بقواته العسكرية من مصر نحو بلاد الشام، إشعارا للصليبيين باستعداده لمواجهتهم[192].

ب – اتخاذ دمشق، التي أمر بتحصينها، ونقل الغلة إلى قلعتها، قاعدة لتجمع العساكر الأيوبية، بما يمكنه من مواجهة جموع الصليبيين الكبيرة [193].

جـ التنقل بقواته بين مدينة وأخرى من مدن الشام، وتحرّي عدم الاصطدام بالجيش الصليبي، كسباً للوقت، ريثما تتمكّن العساكر الأيوبية من التجمع والقدوم إلى دمشق[194].

في إطار هذه الخطة، غادر الملك العادل مصر نحو مدينة الرملة، ثم تحول عنها إلى اللّد، ثم توجه إلى نابلس، ومنها إلى بيسان[195]، ثم إلى عجـــلون، والفوار، ومرج الصفّر[196].

حاول الصليبيون إثارة الملك العادل لإجباره على الدخـــول في معركة تكون ظروفها ملائمة لهم، فقامـــوا بُعَيْدَ مغادرته بيســـان بمهاجمتها، " **وبذلوا في أهلها السـيف، ونهبوا ما بين بيسان وبانياس**" [197]، " **وبثوا السـرايا في القدس، ووصلت غاراتهم إلى خَسَفِين، وقرى من بلاد السواد** " [198]، كما هاجموا بانياس، وأقامـــوا عليها ثلاثة أيام، ثم عادوا إلى مرج عكّا بما معهم من الغنائم، ونهبوا صيدا، والشقيف[199]، وهاجموا قلعة الطور، وكادوا أن يستولوا عليها[200].

أمام هذه المستجدات ركز الملك العادل على حماية بيت المقدس، فقسم قواته إلى قسمين ؛ أولهما تحت قيادته، وكان قد عسكر في مرج الصُفّر[201]، أما القسم الثاني فأرسله تحت إمرة ابنه المعظم عيسى، إلى مدينة نابلس " **لمنع الفرنج عن بيت المقدس**" [202].

علم السلطان الملك العادل، وهو يتخذ إجراءاته هذه، أن الصليبيين غيروا خطتهم، وقرروا التوجه بقواتهم نحو مصر، لمهاجمتها وتملكها، فغير، هو الآخر، خطته بإرسال معظم العساكر التي كانت معه في بلاد الشام، إلى مصر أولا بأول، حيث تولى قيادتها هناك ابنه، ونائبه فيها، الملك الكامل[203]، كما أوعز في الوقت ذاته إلى ابنه الملك الأشرف؛ صاحب الجزيرة، أن يهاجم الصليبيين في بلاد الشام، لكي يشغلهم عن تحقيق أهدافهم في مصر[204].

اتجهت الحملة الخامسة، نحو مصر بحراً، واقتربت من مدينة دمياط بهدف الاستيلاء عليها، واتخاذها نقطة انطلاق للسيطرة على مصر، إلا أنها قوبلت بمقاومة شديدة من قبل الملك الكامل وقواته، فقد دخل " **في مقاتلة الفرنج، ومدافعتهم عن دمياط** " [205] قرابة أربعة أشهر.

وفي حين نجح الملك الكامل في منع الصليبيين من " **الظفر بشيء**، -المقصود الأرض والسلاح والمؤن- **وكسر مرماتهم، وآلاتهم** " [206]، فقد تمكن الملك الأشرف أن يشن في بلاد الشام، "**حربا عليهم، في صافيتا** " [207]، حيث خرّب رجاله "... **ربضها، ونهبوا رستاقها، وهدموا ما حولها من الحصون، ودخلوا إلى ربض حصن الأكراد، فنهبوه، وحاصروا قلعة الطور**" [208]، حتى كادت أن تقع في أيديهم، ثم اتخذوا مواقع لهم عند البحر الميت، قبالة المواقع الصليبية.

في إطار هذا التحرّك الأيوبي في الساحتين الشامية والمصرية، أقام السلطان الملك العادل مع قواته في مدينة مرج الصُّفَّر، يترصد تحركات الصليبيين، ثم غادرها في شهر جمادى الآخرة من سنة 615هـ/1218م نحو عالقين، إلا أنه لم يستطع مواصلة مهمته، فقد مرض، واشتد مرضه عليه، ثم توفي في السابع من الشهر نفسه، تاركا مهمة الدفاع عن الدولة الأيوبية، ومواجهة الحملة الصليبية الخامسة إلى ابنه وولي عهده الملك الكامل، الذي غدا منذ هذا التاريخ سلطانا على مصر وبلاد الشام، والجزيرة الفراتية.

يتضح مما سبق أن السياسة التي اعتمدها الملك العادل خلال تسعة عشرة سنة من الحكم، تحرت الأهداف التالية :

أ – أن يظل واقع الصليبيين في عكا، وطرابلس، وأنطاكيا بالصيغة التي حددها صلح الرملة سنة 588هـ/1192م، ثم معاهدة سنة 601هـ/1204م إذ يلاحظ أن جميع الصدامات العسكرية التي حصلت خلال السنوات المشار إليها، انتهت إلى توقيع هدنة بين الطرفين تؤكد هذا المضمون (209).

ب – التصدي لأية محاولة من قبل صليبيي المشرق، أو القادمين من غرب أوروبا على شكل حملات صليبية، لتغيير هذا الواقع، وهو ما لوحظ فيما أشير إليه في الصفحات السابقة، بخصوص هجمات الصليبيين.

تلك هي سياسة السلطان الملك العادل تجاه الصليبيين، فكيف واجه السلطان الجديد تحدياتهم لدولته ؟ وهل اتبع سياسة مختلفة عن سياسة أبيه ؟ هذا ما ستتناوله الدراسة في الفصل التالي.

الفصل الرابع

السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد السلطان الملك الكامل

(615هـ-635هـ/1218-1237م)

1.4 سياسة الملك الكامل في مواجهة الحملة الصليبية الخامسة 615-618هـ/ 1218-1221م

جاءت وفاة السلطان الملك العادل؛ وهو الرجل القدير، ذو الخبرة الواسعة في التعامل مع الصليبيين، في غير أوانها، فقد كانت المعركة معهم آنــذاك، في أوجها، غير أن ابنيْه الملك المعظم عيسى، صاحب دمشق وأعمالها، والملك الأشرف موسى، صاحب حران وأخلاط أظهرا تماسكاً، وقدرة عالية على إيقاع أضرار بالغة بالصليبيين في بلاد الشام، فقد انتصر الأول عليهم في مواقع عدة، وأسر عددا من فرسان الداوية[210] والاسبتارية[211]، أما الثاني فقد كثف هجمــاته عليهم في طرابلس، وصافيتا، وحصن الأكراد، وبانياس، وصفد، في مسعىً منهما لإفشال تحركاتهم في بلاد الشام، وإشغالهم عن مساندة رجال الحملة الصليبية الخامسة، الذين كانوا آنذاك يحاصرون دمياط[212].

وفي حين كان موقف الأخوين هذا، واضحا في تماسكه، ومواجهتهم للصليبيين، فإن أخاهما الأكبر؛ السلطان الملك الكامل، والذي كان عليه أن يواجه الحملة الصليبية الخامسة في مصر، بعد أن حولت ثقلها العسكري إليها، واحتلت جانبا من سواحلها الشمالية، أظهر قدرا كبيرا من القلق والتخوف تجاه مدى إمكانية التصدي لهذه الحملة.

يرجع موقف السلطان الملك الكامل، إلى أمرين ؛ أولهما، تخوفه من أن يتخلى عنه أخواه الملك المعظم عيسى، والملك الأشرف موسى بعد أن **"طمع به الفرنج"**[213] على حد تعبير بعض المؤرخين، وثانيهما أنه لم يكن مطمئنا لما كان متوفراً لديه من إمكانات عسكرية، قياسا على ما كان لدى الصليبيين، بل أنه صرح لأحد أبرز أمرائه؛ فخرالدين بن شــيخ الشيوخ[214]، بأنه **"لا طاقة له بهم"**[215].

ومع أن الملك الكامل، كان على هذا القدر من القلق، فقد حاول الظهور بمظهر الرجل القوي، فأخذ يواصل استعداداته وأرسل عددا من السفن الحربية لمهاجمة الصليبيين في دمياط، ثم اتجه، على رأس قواته، إلى العادلية، وشحنها بالمقاتلة، بهدف حماية مدينة دمياط، والدفـــاع عنها، في حالة مهاجمة الصليبيين لها من جهة البحر[216].

بعد انتظار الصليبيين مدة أربعة أشهر، تمكنوا من الاستيلاء على برج السلسلة، ودخلت سفنهم إلى نهر النيل، فاضطر الملك الكامل إلى إقامة جسر من السفن في عرض النهر، إلا أن الصليبيين تمكنوا من اختراقه، وعندها أمر بإغراق بعض السفن[217] في محاولة منه لإعاقة الاندفاع الصليبي نحو دمياط، اتجه في ذي الحجة من سنة 615هـ/آذار 1218م، على رأس قواته نحو أشمـــوم طناح[218]، غير أنه علم، وهو فيها، أن أميرا أيوبيا، وهو ابن المشطوب[219] يخطط في القاهرة للإطاحة به، والإتيان بأخٍ صغيرٍ له، يحل محله في السلطنة[220]، فدفعه هذا إلى مغادرة ساحة المعركة فجأة، والعودة إلى اليمن[221] دونما تقدير للنتائج الخطيرة التي قد تنجم عن ذلك.

ترتب على مغادرة السلطان المفاجئة لقواته المرابطة في مواجهة الصليبيين، انتشار الفوضى بينهم، بل أنهم تصرفوا كما تصرف سلطانهم، وغادروا مواقعهم، لتصبح مفتوحة أمام مرمى القوات الغازية[222].

استغل الصليبيون هذا الوضع فعبروا نحو الضفة الشرقية لنهر النيل ووجدوا أنفسهم "**آمنين بغير منازع، ولا مدافع**"[223]، فضربوا حصارا على مدينة دمياط بعد أن غنموا كل ما في معسكر الأيوبيين "**من عُدَدٍ، وسلاح، ومؤونة**"[224].

مع هذا الوضع المتردي أظهر الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وأعمالها، خلاف ما كان يظنه فيه، أخوه السلطان الملك الكامل، مما أشير إليه آنفا، فقد غادر دمشق واتجه بقواته نحو مصر، وكان أول ما أنجزه، نجاحه في تحويل وضع القوات الأيوبية من حالة التشتت، إلى حالة التجمع، كما أنه نجح في إفشال مؤامرة ابن المشطوب ضد أخيه السلطان في القاهرة[225]. ارتفعت معنويات السلطان الملك الكامل، وقواته، بعد وصول أخيه الملك المعظم عيسى، ومعه قواته، القادمة من مصر، وعاد

ليمارس دوره ثانية، في التصدي للصليبيين، وإعاقة محاولاتهم لاحتلال مدينة دمياط المحاصرة ومن ثم تهيئة الظروف، وتوفير الإمكانات المادية والمعنوية التي تُمَكِّن من طرد الغزاة.

تحقيقا لهدفه هذا اتبع السلطان الملك الكامل مجموعة من الوسائل، يمكن حصرها بما يلي :

أولا : منع الصليبيين من التحكم في أية مواقع استراتيجية في حـــالة مهاجمتهم لها.

من الواضح أن الهدف المركزي الذي جاءت من أجله الحملة الصليبية الخامسة، هو استعادة ما كان يعتبره الصليبيون ممتلكات سابقة لهم، مما استنقذه من قبل صلاح الدين الأيوبي، وعلى رأس ذلك مدينة بيت المقدس، وأن غزوهم لمصر، إنما كان وسيلة للحصول على مواقع حيوية تمكنهم من تحقيق هدفهم المركزي هذا، والواقع أن تحركات الصليبيين ضد الأيوبيين في بلاد الشام، ظلت قائمة، بل أن أنباءً وصلت السلطان الملك الكامل سنة 616هـ/1219م، أنهم كانوا يستعدون لإرسال قوات للاستيلاء على مدينة بيت المقدس[226]، لذا فقد أوعز إلى أخيه الملك المعظم عيسى بالتوجه إلى بلاد الشام، وهدم أبراج وأسوار مدينة بيت المقدس، ونقل الآلات والأسلحة منها[227].

جاء قرار السلطان هذا، انعكاساً لقلقه الشديد في أن تؤدي السيطرة على مدينة بيت المقدس، إلى تحويلها إلى مرتكز للسيطرة على بلاد الشام كافة، ويبدو أن هذا ما دفعه إلى هدم أسوارها، ونقل آلاتها وأسلحتها، لكي لا يكون ذلك عامل قوة للصليبيين، بل إنه، وأخاه الملك المعظم، اندفعا في هذه السنة في هذا الاتجاه، فقاما بهدم تحصينات مدن، وقلاع أخرى، أبرزها مدينة تبنين، وبانياس[228]، وقلعة الطور[229]، وقيسارية وعثليث[230]، وصفد، والجليل[231].

ثانيا : حشد أكبر قدر ممكن من القوات الإسلامية لمواجهة الحملة.

أظهر السلطان الملك الكامل، كما سبق القول، قلقه بشأن ضخامة أعداد الصليبيين في الحملة الصليبية الخامسة، ومن انضم إليهم من صليبيي المشرق، وقد دفعه هذا، حال تسلمه السلطنة، إلى إرسال الرســل إلى ملوك وأمراء المسلمين؛

وعلى رأسهم الخليفة العباسي الناصر لدين الله[232]، وكان مما كتبه الملك الكامل إلى الأمراء يستحثهم على القدوم " **الوحا الوحا، العَجَل العَجَل، أدركوا المسلمين قبل تملك الفرنج جميع أرض مصر**" [233]، أما على صعيد الحكام الايوبيين فقد راسل أخاه الملك الأشرف موسى ؛ صاحب بلاد الجزيرة وأخلاط، مع قصيدة قال فيها :

"يا مسعدي إن كنت حقا مسعفي فانهض بغير تلبث وتوقف
واحثث قَلوصك مُرْقِلاً أو مُوجفاً بتجشم في سيرها وتعسف
واطو المنازل ما استطعت ولا تَنُخْ إلا على باب المليك الأشرف
واقر السلام عليه من عبد له متوقع لقدومه متشوق
وإذا وصلت إلى حماة فقل له عني بحسن توصل وتلطف
إن تأتِ عبدك عن قليل تلقه ما بين كل مهند ومثقف
أو تبطِ عن إنجاده فلقاؤه يوم القيامة في عراص الموقف"[234]

ثالثا : الحَضُّ على الجهاد في سبيل الله، مواجهة للغزو الصليبي.

ركزت رسائل السلطان الملك الكامل، المشار إليها آنفاً، تأكيده على دعوة المسلمين، حكاما وشعوبا، لأداء واجبهم الديني في الدفاع عن حرمات المسلمين، وبلادهم، ولعلّ أكثر المساندين له في دعوته هذه هو الفقيه، والمؤرخ الدمشقي ؛ سبط بن الجوزي (ت654هـ/1256م)، فقد لعب دورا في إذكاء روح الجهاد، سواء في محاولته إقناع الملك الأشرف موسى، بالاستجابة لنداء أخيه، ومساندته في سعيه لطرد الصليبيين من مصر[235]، أو في خطبه في مدينة دمشق، ودعوته لجمهور المسلمين مطالباً بنجدة أهل مصر ضد الصليبيين[236].

لم تحقق وسائل السلطان الملك الكامل المشار إليها، النتائج المرجوة منها، فقد اقتصرت الاستجابة على رجال البيت الأيوبي نفسه، متمثلة بأخيه الملك الأشرف موسى، وكل من المنصور صاحب حماة، وولده الناصر صلاح الدين قليج أرسلان، والمجاهد أسد الدين، صـــاحب حمص، والأمجد بهرام شاه، صاحب بعلبك، ولكنها

مع ذلك استقطبت من القوات العسكرية والمتطوعين ما بلغ قرابة أربعين ألفاً [237]، فهل يعني ذلك تغيراً في التوازن العسكري، بينه وبين الصليبيين لصالحه؟

ليس من شك أن استجابة هذه القوات وعلى رأسها أمراؤها من بني أيوب، أشعرت الصليبيين بوحدة رجال هذه الدولة، وحسنت الدفاعات الأيوبية، ورفعت من الروح القتالية للمقاتلين والمتطوعين، غير أن السلطان الملك الكامل لم يُرِدْ، مع ذلك، أن يدخل في مواجهة عسكرية مع الغزاة الصليبيين، فقد هيمن على تفكيره في هذه الحقبة أمران :

1 – إن فكرة تحقيق نصر عسكري حاسم على رجال الحملة الخامسة، ومن معهم من صليبيي المشرق، لن يحل إشكالية دمياط، فهؤلاء "**ليسوا جميع الفرنج**"، وأن رد الفعل للبابوية، وملوك أوروبا المتوقع، في حالة القضاء على الحملة، قد يدفع بجموع صليبية جديدة " **أضعافَ أضعافِ هؤلاء** "، كما أشار إلى ذلك المؤرخ ابن واصل[238].

2 – أن العساكر الأيوبية قد ضجرت، وكلّت من الحرب[239].

ويبدو أن تفكيره هذا، هو ما دعاه إلى إيثار المصالحة على الحرب، لذا فانه ما أن علم بوصول نجدات صليبية من قبرص، وغرب أوروبا، حتى بادر إلى إرسال وفد إلى رجال الحملة الصليبية الخامسة، يعرض عليهم استعداده لإحياء مملكة بيت المقدس القديمة، وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل معركة حطين، باستثناء حصني الكرك والشوبك[240]، إذا ما رفعوا حصارهم عن دمياط، وغادروا أرض مصر.

شكل مشروع السلطان هذا، أول خروج عن السياسة المعتمدة التي تعامل بها الأيوبيون مع الصليبيين، سواء في عهد صلاح الدين الأيوبي، أو في عهد أبنائه، ثم في عهد الملك العادل[241]، ولم يكن هذا أمرا عارضا دفعت إليه ظروف الحرب، بل كان انعكاسا لقناعات السلطان الملك الكامل المشار إليها آنفا، لذا فقد كرر عرضه هذا على الصليبيين في شعبان سنة 616هـ/تشرين الأول 1219م، ثم سنة 617هـ/1220م ودعا إلى عقد هدنة أمدها ثلاثون عاماً [242]، مما يشعر أنه توخى وراء

تنازلاته المشار إليها، إزالة المبررات التي كانت الحملات الصليبية، ترد غازية لبلاد الشام ومصر، بسببها.

يبدو أن الهدف من إصرار السلطان الملك الكامل، على استثناء قلعتي الكرك والشوبك من مشروعه هذا، أن يبقى محتفظا بما تمتلكانه من موقع حيوي مهيمن على طرق المواصلات، الأمر الذي يمكنه من ضرب الصليبيين، في حالة خروجهم عما كان يتوخاه من اتفاق معهم.

كان هذا المشروع هو ما هيمن على ذهن السلطان الملك الكامل تجاه الصليبيين، سواء خلال حصارهم لدمياط، أو بعد استيلائهم عليها. غير أن عرضه هذا، لم يحظ برضى بعض قادة الصليبيين، فقد رفضه مندوب البابا ؛ قائد الحملة، والداوية، والاسبتارية[243] الذين فسروا تنازلات السلطان على أنها دلالة على ضعفه، وأصروا على أن يشمل العرض قلعتي الكرك والشوبك، ودفع ثلاثمائة ألف دينار تعويضا عن تخريب المعظم عيسى لتحصينات بيت المقدس[244].

أدى تشدد الطرفين بموقفيهما، إلى استمرار حـــالة الحرب والمواجهة، حيث شدد الصليبيون حصارهم على دمياط، واستمروا على ذلك تسعة شهور، انتهت بتمكنهم من الاستيلاء عليها في رمضان سنة 616هـ/ تشرين الثاني 1219م.

تَحَوَّطَ السلطان الملك الكامل، لمواجهة هذه المتغيرات، وانتقل بعساكره إلى مدينة فارسكور، إلى الجنوب من دمياط، ثم شرع ببناء مدينة المنصورة، وبناء قلاع وتحصينات على نهر النيل[245]، ولكنه، مع ذلك، دعا الصليبيين إلى صلح يستند إلى مشروعه آنف الذكر، إلا أنهم رفضوا ذلك[246]، وقرروا الزحف على القاهرة بعد أن وصلتهم الإمدادات من عكا.

كثف السلطان الملك الكامل ضغوطه على الصليبيين، حيث قامت قواته بمهاجمة سفن الصليبيين وإغراقها في النيل، مما ساهم في تدهور أوضاعهم[247]، كما تعزز موقفه العسكري بعد وصول أخويه الملك المعظم عيسى، والملك الأشرف موسى بقواتهما إليه، إضافة إلى قوات الناصر، صاحب حماة، والمجاهد صاحب حمص، والأمجد صاحب بعلبك، وعسكر حلب[248]، إضافة إلى من قدم إليه من رجال القبائل العربية[249].

بدأ الصليبيون هجوما عسكريا واسعا تجاه القاهرة، ودخلوا بقواتهم في المنطقة المحصورة بين فرع دمياط، وبحيرة المنزلة، فإذا بهم يفاجأون بإغراق معسكرهم بمياه النيل، وقطع الإمدادات عنهم، وبأن القوات الأيوبية تحاصرهم من الشمال، وتقطع صلتهم بدمياط، كما أنها تحاصرهم من الجنوب.

في ظل هذا الوضع، فقد الصليبيون الكثير من قدراتهم، ولم يجدوا مفرا من فتح باب المفاوضات مع السلطان الملك الكامل طلبا للصلح.

كان هدف الصليبيين في هذه المرحلة إنقاذ رجالهم، وخروجهم سالمين، لذا فقد كانوا، هم من بدأ يطالب بالصلح، فدخل الطرفان في مفاوضات انتهت إلى توقيع معاهدة صلح أمدها ثماني سنوات، ابتداءً بالسابع من شهر رجب من سنة 618هـ/ آب 1221م[250]، وقد تعهد الصليبيون فيها بالجلاء عن مصر، إضافة إلى تعهد الطرفين، كل بإطلاق سراح أسرى الجانب الآخر، كما وافق الأيوبيون على إعادة " **صليب الصلبوت** " [251] للصليبيين، كما تنازلوا لهم عن القطائع، والمناصفات المتفق عليها سنة 601هـ/1204م، ويعني ذلك مناصفة مدن اللد، والرملة، وصيدا [252].

ولضمان جلاء الصليبيين عن دمياط، وتنفيذ الشروط المتفق عليها، تبادل الطرفان الرهائن. فهل يعني هذا الصلح عودة إلى السياسة الأيوبية التي انتهجتها الدولة في عهد الملك العادل، ومن سبقه بعد صلاح الدين الأيوبي، باعتماد سياسة الحفاظ على علاقة متوازنة مع الصليبيين، وبما لا يسمح لهم بتجاوزها ؟ وهل يعني هذا أن مشروع الملك الكامل، آنف الذكر لم يعد موضع اهتمام صاحبه خلال ما تبقى من سنيّ حكمه ؟

2.4 سياسة السلطان الملك الكامل بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة

شهدت السنوات الأربع الأولى بعد جلاء رجال الحملة الصليبية الخامسة 618-624هـ/1221-1226م متغيرين كبيرين، أولهما تزايد حماس البابوية بإرسال حملة صليبية سادسة تعوض عن الفشل الذي منيت به الحملة الخامسة[253]، ومطالبتها لفريدريك الثاني (Fredrick II) (622-648هـ/1225-1250م)[254] إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة بقيادة الحملة، وثانيهما تأزم العلاقة بين السلطان الملك الكامل

وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق، الذي سعى إلى التحالف مع جلال الدين منكبرتي، سلطان الدولة الخوارزمية، وأعلن ولاءه له، ولبس الخلعة التي أرسلها إليه، وضرب السكة باسمه[255]، مما أدى إلى تعميق الخلاف بين الأخوين، وقيام قطيعة كبيرة بينهما[256].

كان هذان المتغيران، مبرراً كافياً أمام السلطان الملك الكامل، لكي يعود ثانية لإحياء مشروعه القديم، بإقامة صلح مع الصليبيين، بل أنه أضفى على مشروعه هذا أمراً لم يسبقه إليه أحد بالتحالف معهم، واتخاذ ذلك وسيلة لكبح جماح أخيه، الملك المعظم عيسى[257].

تنفيذا لذلك أرسل السلطان الملك الكامل سنة 624هـ/1226م أحد كبار أمرائه، الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ إلى صقلية، رسولا إلى الإمبراطور فريدريك الثاني (Fredrick II) الذي كان مطالبا من قبل البابوية بقيادة الحملة الصليبية الجديدة.

وفي حين تأزمت العلاقة بين السلطان وأخيه الملك المعظم عيسى[258]، استجاب الإمبراطور فريدريك الثاني لطلب السلطان الملك الكامل بالقدوم إلى عكا، وأرسل أولى سفاراته إليه سنة 624هـ/1226م، بل أن هذه السفارة تجرأت على السفر إلى بلاد الشام، بعد إنهاء مهمتها في القاهرة وقابلت الملك المعظم عيسى، وطلبت منه إعادة البلاد التي فتحها صلاح الدين الأيوبي، مما أثار غضبه، وجعله يرد عليهم بغلظة قائلا: " **ما أنا مثل الغير، ما له عندي إلا السيف** "[259].

ويبدو أن موقف الملك المعظم عيسى المعارض هذا، دفع الصليبيين في السواحل، إلى الإغارة على مدينة صور وأعمالها، وأخذ الكثير من الأسرى[260].

أدرك الملك المعظم عيسى خطورة هذه التحركات من جهة وتحركات أخيه السلطان الملك الكامل ؛ حليف الصليبيين ضده، فأمر بتدمير تحصينات ما تبقى من أسوار القدس[261]، كما أغلق صهاريج الماء فيها، ودمر استحكامات مدن صفد، وكوكب، وتبنين[262]، وأرسل عيونه لترصد تحركات الإمبراطور فريدريك الثاني[263]، كما جهز العساكر لتقيم في مدينة نابلس لحماية القدس[264]، وطلب نجدة من حليفه، جلال الدين منكبرتي، سلطان الدولة الخوارزمية، لمواجهة الحملة[265] إلا

أن وفاته المفاجئة سنة 624هـ/1226م، وهو في عنفوان تحركه هذا، حالت دون تنفيذ ذلك وشكلت فراغاً كبيراً، وظرفا ملائما، مكن السلطان الملك الكامل من القدوم الى بلاد الشام وفرض هيمنته، على معظم ما كان بيد أخيه من مدنها ؛ وبين ذلك مدينة بيت المقدس، التي أعلن في رسالة وجهها إلى أخيه الأشرف موسى، بأنه إنما جاء لحمايتها، ومنع الصليبيين من السيطرة عليها(266).

وفي حين حصل هذا في الجانب الأيوبي، كان رجال الحملة الصليبية السادسة، وفي مقدمتهم الإمبراطور فريدريك الثاني، ينتظرون في معسكراتهم قرب مدينة يافا، أن يَفِيَ السلطان الملك الكامل بوعده، في تمكينهم من بيت المقدس وغيرها، وهو وعد لا يبدو مفهوما، مع إعلانه المشار إليه آنفا، بأن حماية القدس من الصليبيين، هو أهم أهداف وجوده آنذاك في بلاد الشام.

أمام هذه المتغيرات، حاول الصليبيون إظهار قوتهم، مما يبدو أنه محاولة للضغط على السلطان الملك الكامل لتنفيذ ما التزم به للإمبراطور، إذ هاجم الاسبتارية قلعة صفد(267)، كما قامت جموع الصليبيين القادمين من صقلية، وعكا، وصور، وبيروت(268)، بمهاجمة مدينة صيدا، التي كانت تحكم مناصفة، بينهم وبين الأيوبيين، وقاموا بتجديد أسوارها، كما هاجموا حصن بعرين(269).

من الواضح أن السلطان الملك الكامل، كان آنذاك في حيرة من أمره، فهو واقع تحت وطأة ضغط الصليبيين، وتحركاتهم، كما أنه مطالب بتنفيذ وعوده للإمبراطور فريدريك الثاني، المقيم مع قواته في عكا بانتظار ذلك، في حين أن السبب الذي دعاه إلى تقديم هذه الوعود، وهو موافقتهم على مساندته في خصومته مع الملك المعظم عيسى، قد انتهى بغياب هذا الرجل عن الساحة السياسية.

ومهما يكن من أمر، فقد آثر السلطان أن يخرج من مأزقه هذا، بالدخول ثانية في مفاوضات مع الإمبراطور فريدريك الثاني، عقب وصول رسل من الأخير إليه، سنة 625هـ/1227م، يطالبونه بتنفيذ التزاماته.

بدأت المفاوضات ثانية بين السلطان الملك الكامل، وبين الإمبراطور فريدريك الثاني في سنة 625هـ/1227م، واستمرت حتى نهاية السنة نفسها، وقد حاول ممثلا السلطان، خلالها، إقناع الإمبراطور بعقد صلح، لا يتضمن تسليم بيت المقدس،

وغيرها من البلدان، التي سبق وأن وعده السلطان الملك الكامل بها، وهو ما رفضه الإمبراطور، وأصر على المطالبة به[270].

توقفت المفاوضات بسبب هذا التباين في المواقف مدة خمسة أشهر[271]، ثم عادت، ولكن عبر رسائل مباشرة أرسلها الإمبراطور إلى السلطان الكامل، استعطفه فيها، وتوسل إليه أن ينفذ وعده له بتسليم بيت المقدس[272].

تحت تأثير هذه الرسائل، ولقناعة السلطان الكامل بضرورة، إقامة صلح مع الصليبيين، وقطع الطريق على إرسال حملات صليبية جديدة، وهو ما يفهم من كل طروحاته، في تعامله معهم منذ تسلمه السلطنة، وافق على تسليم بيت المقدس إلى الإمبراطور، وأرسل الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والصلاح الإربلي[273]، لتقرير قواعد الصلح معهم.

عاد سفيرا الملك الكامل إليه، وأطلعاه على ما تم في المفاوضات، كما نقل الصلاح الإربلي في بيتين من الشعر تعهد الإمبراطور، بأن يكون سلمه مع الأيوبيين دائما، فقال :

"زعم اللعين الإنبرور بأنه سلم يدوم لنا على أقواله
شرب اليمين فإن تعرض ناكثاً فليأكلن لذلك لحم شماله"[274]

وقد أعقب ذلك، في 22 ربيع الأول سنة 626هـ/18 شباط 1229م، التقاء ممثلين عن الطرفين الأيوبي[275] والصليبي، في يافا، حيث تم التوقيع على اتفاقية الصلح التي حملت اسم هذه المدينة، والتي نصت على ما يلي: حددت مدة الاتفاقية بعشر سنوات وخمسة أشهر [276] تبقى المناطق التي أخذها الصليبيون قبل الصلح بأيديهم، وتشمل قلاع: الشقيف، وتبنين، وجبلة، وكوكب، وبيروت، وصيدا، ويافا، والمجدل، واللد، والرملة، وعسقلان، وبيت جبريل، وللإمبراطور تعزيز الحصون وتنظيمها [277]، وتبقى بيت المقدس، خربة، ولا يجدد سورها [278]، وتكون قراها للمسلمين، تابعة لوالي البيرة ؛ شمالي القدس، ويبقى المسجد الأقصى، وقبة الصخرة بيد المسلمين، يمارسون شعائرهم بحرية، ويتولاهما قوّام مسلم، ولا يدخلهما الصليبيون إلا للزيارة [279]، كما يأخذ الصليبيون، بيت المقدس، والناصرة، وبيت

لحم [280]، وتكون بعض القرى الواقعة على الطريق من عكا إلى القدس، بيد الصليبيين، أما سائر المدن والقرى فتبقى بيد المسلمين، وإطلاق أسرى الجانبين[281]، وتعهد الإمبراطور بالمشاركة في الدفاع عن الملك الكامل، ضد أي اعتداء، حتى لو كان من الصليبيين، كما تعهد بعدم تقديم أية مساعدة لإمارتي أنطاكيا وطرابلس الصليبيتين [282].

ومع أن اتفاقية يافا مع الإمبراطور فريدريك الثاني لم ترق للبابا جريجوري التاسع، إلا أنه صادق عليها بعد توقيعها بسنتين 626هـ/1230م[283]، لذا فقد بقيت العلاقة بين الأيوبيين والصليبيين مستقرة، بقيّة حكم السلطان الملك الكامل 626-635هـ/1228-1237م.

في ضوء هذه الاتفاقية تبودلت الرسائل والهدايا بين الطـــرفين، بل أن الملك الجواد يونس ؛ نائب دمشق عبر في إحدى رسائله إلى الإمبراطور فريدريك الثاني سنة 630هـ/1232م، عن مدى العلاقة القوية، وانه لا فرق بين المملكتين[284].

ولم يعكر صفوها إلا قيام بعض معارضي الاتفاقية من صليبيي المشرق، ونعني بهم الداوية والاسبتارية، بالإغارة على حماة، وجبلة، والمرقب، وبانياس سنة 628هـ/1230م، لكن هذا لم يأخـــذ إلا أبعاداً محدودة، بل أن هذه التحركات المعادية، تأثرت بروح اتفاقية يافـــا، وانتهت إلـــى عقد هدنة معهم سنة 628هـ/ 1230م[285]، ثم سنة 630هـ/1232م [286].

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى توجهات السلطان الملك الكامل في تعامله مع الصليبيين وتسليمه بيت المقدس، وغيرها لهم، كانت موضع استنكار واستهجان بيـــن صفوف المسلمين في عصره بل وفي العصور التالية، فقد وقع البكاء والضجيج، وأنكر الناس على السلطان الملك الكامل هذه السياسة، وأقيم مجلس للوعظ في دمشق أثار فيه سبط ابن الجوزي الناس على استنقاذ القدس[287].

تلك هي السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين، في عهد الملك الكامل، وهي سياسة تختلف جذريا عن سياسة كل من سبقه من سلاطين هذه الدولة، فكيف انتهت إليه بعد وفاته سنة 635هـ/1237م.

هذا ما ستتناوله هذه الدراسة في الفصل التالي.

الفصل الخامس

السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في حقبة ما بعد عصر الملك الكامل وحتى سقوط الدولة الأيوبية

(635هـ-648هـ/1237-1250م)

1.5 السياسة الأيوبية في مواجهة الحملتين الفرنسية والإنجليزية

مع أن وفاة السلطان الملك الكامل سنة 635هـ/1237م، شهدت دولة بني أيوب عودة إلى حرب الوراثة[288] بين ابنيه، الملك العادل الثاني[289]، الذي تولى السلطنة بعد أبيه، وبين أخيه الأكبر الملك الصالح نجم الدين أيوب[290]، وانقسم أمراء البيت الأيوبي، فالتفوا حول هذا الطرف أو ذاك، طوال حقبة امتدت ثلاث عشرة سنة (635-647هـ/1237-1249م)، فما هو تأثير ذلك على موقف الأيوبيين من الصليبيين ؟ وهل أدى ذلك إلى تغير في سياستهم تجاههم؟

تعرضت الدولة الأيوبية خلال حكم السلطان الملك العادل الثاني (635-637هـ/1237-1239م)، إلى حملة صليبية جديدة ؛ هي الحمـلة الفرنسية.

وصلت هذه الحملة إلى مشارف عكا في أول رجب سنة 637هـ/ أول شباط 1240م، بقيادة ثيبوت الرابع (Thibaut IV)[291]، ويبدو أن الهدف الذي جاءت من أجله هو مساندة الصليبيين في بيت المقدس، فقد شعر هؤلاء مع انتهاء الهدنة التي كانوا قد عقدوها في عهد السلطان الملك الكامل قبل هذا التاريخ بعشر سنوات 626 هـ/1229م، أن وجودهم أصبح مهددا، لذا فقد بادروا إلى تحصين المدينة، وزيادة استحكاماتها ببناء الأبراج[292]، والاعتداء على قافلة تجارية في طريقها إلى الأردن[293]، خلافا لشروط الهدنة المشار إليها.

أمام هذا الخطر المتمثل بالحملة الصليبية الفرنسية من جهة، وتجرؤ الصليبيين على تحصين مدينة بيت المقـدس، سارع أحد الأطراف الأيوبية المعارضة للسلطان الملك العادل الثاني؛ وهو الملك الناصـر داوود؛ صاحب إمارة الكرك [294]، إلى بيت المقدس في 10 ربيع الأول 637هـ/ 9 تشرين الثاني 1239م، وأجبر الصليبيين على الجلاء، بعد أن عقد معهم صلحاً على " **أنفسهم دون أموالهم** "[295]، وهدم ما

تم تحصينه، وإعادة القدس[296]، مما عزز موقفه المعارض للسلطان، ودفع برجال الحملة الجديدة للتحرك عسكرياً، في محاولة للسيطرة على الخط الواصل بين مدينة عسقلان ودمشق، وتطويق القوات الأيوبية.

لم يستطع رجال الحملة الفرنسية تحقيق أهدافهم، فقد تصـــدى لهم جيش أيوبي، أرسله السلطان الملك العادل الثاني من مصر، ودخل معهم في معركة، على مقربة من غزة، ســـنة 641هـ/1243م، وأنزل بهم هزيمة، " **ووصلت الأسرى، والرؤوس، إلى مصر** "[297].

يتضح مما ورد أعلاه أن كلا من الســـلطان الأيوبي الملك العادل الثاني، ومعارضيه السياسيين من البيت الأيوبي، وقفوا بحزم تجاه محاولات الصليبيين تحويل التوازن السياسي والعسكري لصالحهم، وحَصّن بعضهم المناطق الواقعة تحت سيطرتهم ببناء الأبراج، تحسبا للإخلال بهذا التوازن ؛ كما فعل الأمير المجاهد أسد الدين شيركوه ؛ صاحب حمص سنة 637هـ/1239م[298].

مع تولي الملك الصالح نجم الدين أيوب عرش السلطنة الأيوبية في محرم سنة 637هـ / آب 1239م، ونجاحه في إزاحة أخيه السلطان الملك العادل الثاني، دخلت حرب الوراثة بين الأيوبيين عنفوانها، فقد تصدى له عمه الملك الصالح إسماعيل[299]، صاحب دمشق وأعمالها، واستطاع أن يجند كثيرا من الأمراء الأيوبيين ضده.

استمر هـــذا الصراع سياسيا أحيانا، وعسكريا أحيانا أخرى ست سنوات (637-643هـ/1239-1245م)، قبل أن يحسم لصالح السلطان نجم الدين أيوب، وقد عرفت هذه الحقبة عودة إلى سياسة، كان السلطان الملك الكامل قد سلكها قبل ذلك بسبعة عشر عاماً، عندما استعان بالصليبيين، ضد أخيه الملك المعظم عيسى، ووعدهم مقابل ذلك، بالتنازل لهم عن بيت المقدس والفتوح الصلاحية[300].

كان المبادر لهذه السياسة هو الجناح المعارض للملك الصـــالح نجم الدين أيوب، حيث سارع الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق هو وحلفاؤه[301]، إلى الاتصال بالصليبيين في عكا، وثيبوت الرابع الذي كان ما يزال هو ورجال الحملة الفرنسية، موجودين فيها، وأرسل لهم الملك المنصور، صاحب حمص، لإقرار هذا

التحالف، والوقوف معه في حربه، ضد الصالح نجم الدين أيوب[302]، وعقد معهم اتفاقية، التزم فيها، بإعادة مملكة بيت المقدس اللاتينية إليهم، كما كانت عليه قبل معركة حطين 583هـ/1187م[303].

لم يكتفِ الملك الصالح إسماعيل بتوقيع هذه الاتفاقية مع الصليبيين بل أراد أن يثبت لهم صدق نواياه تجاههم فتنازل لهم طواعـية عن بيت المقدس، وطبريا، وعسقلان، وعدد آخر من القلاع والحصون في الجليل[304]، وشقيف أرنون، وصفد[305]، والساحل، وجبل عاملة[306]، ومناصفة صيدا[307]، وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح[308]، ومكنهم من عمارة القلاع، والحصون، في عسقلان، وطبريا، وكوكب[309]، وأبدى استعداده لتزويدهم بالمؤن، إذا ما رغبوا في حصار أية مدينة مصرية[310].

تسلم الصليبيون المدن والقلاع المشار إليها، ثم بدأوا بتحصين بعض القلاع، كما اتجهوا بعساكرهم، نحو المنطقة الواقعة بين يافا، وعسقلان، بهدف الهجوم على السلطان الصالح نجم الدين أيوب في مصر[311]، وقد خطا الملك الصالح اسماعيل، خطوة لم يسبقه إليها أحد من قبل، بتعهده للصليبيين -إذا ما ساعدوه في التمكن من مصر- سيتنازل لهم عن بعض منها[312].

تقدم الملك الصالح بعساكره، وحلفائه من الصليبيين، من رجال الحملة الفرنسية، نحو مصر للسيطرة عليها، وانتزاع السلطنة من المـلك الصالح نجم الدين، ولكنه ما أن وصل إلى مدينة غزة واصطدم بالقوات القادمة من مصر، حتى فوجئ وحلفاؤه، بانضمام قوات دمشق، وحمص الأيوبية، إلى جانب جيش مصر، مما أوقع هزيمة كبيرة بقوات الحملة الفرنسية سنة 642هـ/1234م، حيث قُتلت أعدادٌ كبيرة من أفرادها، كما أُسر كثيرون، تم أرسالهم إلى مصر[313]، أما من تبقى من رجال الحملة، فقد انسحبوا إلى مدينة عسقلان[314].

ومع أن الصالح نجم الدين أيوب، كان هو المنتصر في هذه الحرب، فقد آثر أن يدخل في مفاوضات مع الصليبيين، انتهت بعقد اتفاقية صلح معهم، أمدها خمسة عشر عاما[315]، وقد تم بمـوجبها إطلاق سراح أسـراهم، والسماح لهم بأن

يحصنوا مدينة عسقلان، مقابل تخليهم عن مناصرة أمراء دمشق، كما اعترف لهم بملكية الحصون التي كانت بأيديهم، وبمدينة بيت المقدس أيضاً [316].

وفي حين غادرت الحملة الفرنسية بلاد الشام في رجب سنة 638هـ/ تموز 1240م، فقد استقبلت عكا في شهر شعبان من السنة نفسها حملة أخرى، بقيادة ريتشارد كورنول؛ وهي التي عرفت بالحملة الإنجليزية، وقد قامت حال وصولها، بتحصين مدينة عسقلان، واتخاذها قاعدة لتحركاتها[317].

حاول السلطان الصالح نجم أيوب ايستيعاب هذه الحملة، فدخل في مفاوضات مع قادتها، وتم عقد اتفاقية صلح معهم، على نفس الأسس التي قام عليها الاتفاق مع رجال الحملة الفرنسية [318].

يتضح من تعامل السلطان الصالح نجم الدين مع رجال الحملة الفرنسية، ثم رجال الحملة الإنجليزية، أنه لم يكن يريد الدخول مع الصليبيين في حرب، وأنه آثر أن يُبْقِيَ الحصون التي كانوا قد استولوا عليها بأيديهم، وأنه لم يحاول استعادة بيت المقدس منهم، بعد أن كان عمه الملك الصالح إسماعيل قد سلمها لهم سنة 637هـ/ 1239م، مما يعني أن كلا من السلطنة الأيوبية، والقوى الأيوبية المعارضة لها، كانوا سواء في القناعة بهذه السياسة.

2.5 السلطان الصالح نجم الدين أيوب في مواجهة التحالف بين عمه الصالح إسماعيل والصليبيين

شهدت السنوات التالية تنافسا من أجل كسب الصليبيين لصالح هذا الطرف الأيوبي أو ذاك، فقد عرض الملك الصالح عماد الدين إسماعيل على الصليبيين أن يقفوا إلى جانبه، واعداً إياهم بتوسيع نفوذهم في بيت المقدس، ومنحهم السيادة عليها، كما أن هذه العروض ذاتها، عرضت على الصليبيين من قبل السلطان الصالح نجم الدين أيوب، غير أنه لم ينجح في كسبهم الى جانبه، فقد آثروا الوقوف إلى جانب معارضيه، ولم تحل سنة 642هـ/1244م حتى تجمعت القـوى المتحالفة؛ أيوبية وصليبية عند مشارف غزة استعدادا للهجوم على مصر.

أمام هذا التحدي، قرر الملك الصالح نجم الدين أيوب التصدي للمتحالفين، ويبدو أنه أدرك حاجته إلى قوى فاعلة، ترجح ميزان القوة العسكرية لصالحه، فاستعان بعشرة آلاف من الجيش الخوارزمي، الذي كان آنذاك يعرض خدماته على من يحتاج إليها، طمعا في حصوله على امتيازات مقابل ذلك[319].

كان لاستجابة هؤلاء لطلب السلطان، الأثر الكبير في تمكينه من الانتصار على أعدائه، فقد تحركوا سنة 642هـ/1244م، نحو دمشق وحاصروها، فلما لم ينجحوا في ذلك، حولوا وجهتهم نحو طبريا، ونابلس واستولوا عليهما، بمساعدة الأمير فخرالدين بن شيخ الشيوخ، الذي قاد الجيش المصري، كما نجحوا في استنقاذ بيت المقدس من أيدي الصليبيين في سنة 642هـ/1244م[320].

بعد قرابة شهر من هذا التاريخ، واجه السلطان الملك الصالح نجم الدين، تجمع القوات المتحالفة ضده، على مقربة من مدينة عكا، فتصدت لها قواته القادمة من مصر، وحلفاؤه من الخوارزمية، وقد نجح هؤلاء في حسم الموقف لصالحهم في موقعة، عند مدينة غزة، وقعت في جمادى الأولى من سنة 642هـ/ تشرين الأول 1244م[321]؛ وهي المعركة التي أطلق عليها المؤرخون، "**معركة حطين الثانية**"[322]، نظرا لما حققته من نتائج مهمة، يمكن حصرها بما يأتي:

1 – تمكين السلطان الصالح نجم الدين من السيطرة على بلاد الشام، وتحجيم مكانة خصومه فيها، فقد تقلص نفوذ الملك الناصر داوود صاحب إمارة الكرك، بعد أن انتزع السلطان منه، بيت المقدس، والخليل، وبيت جبريل، والأغوار، كما أصبحت دمشق بيده، ولم يعد الصالح إسماعيل يشكل خطراً، أو تهديداً، بعد نقله حاكماً على بعرين، وبعلبك وأعمالها[323].

2 – إفشال التحالفات التي قامت بين عدد من الأمراء الأيوبيين، وبين الصليبيين.

3 – إستعادة بيت المقدس، وجميع البلاد التي كانت تحت السيطرة الصليبية، باستثناء يافا التي بقيت في أيديهم[324].

يتضح مما ورد أعلاه، أن السلطان الصالح نجم الدين تحرى في علاقاته مع الصليبيين إحدى حالتين:

1 – كسبهم حلفاء له، مع استعداده لتوسيع سيادتهم، لتشمل بيت المقدس، وكل ما كان بأيديهم، قبل معركة حطين.

2 – ضربهم اذا ما تحالفوا مع معارضيه، واستنقاذ اية بلاد تقع في أيديهم جرَّاء هذا التحالف، ومن ثم الدخول معهم في مفاوضات، تقرهم على حدود يتفق عليها.

لم يكن تصرف السلطان هذا تصرفا عابرا، بل كان سياسة مقصودة، فقد شكل الصليبيون – رغم نفوذهم المحدود – خطرا كبيرا على دولته من ناحيتين، أولاهما احتمالات تحالفهم مع معارضيه من الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام، وثانيهما إسناد البابوية لهم، وتبنيها الدعوة لإرسال حملات صليبية، كلما وجدتهم في وضع محرج، لذا فإن السلطان؛ مَثَلُهُ مَثَلُ أبيه السلطان الملك الكامل، سعى إلى ما أشير إليه من محاولة كسبهم حلفاء، أو إيقاف محاولاتهم للتوسع، وتحجيم نفوذهم، بموجب معاهدات صلح معهم، تقرهم على ما يتفق على ابقائه من البلاد، بأيديهم.

فهل حققت هذه السياسة تجاه الصليبيين أهدافها ؟ وهل أمنت مصر وبلاد الشام مواجهة غزو صليبي جديد ؟

لم يستطع الصليبيون تقبل نفوذ محدود لهم، في جانب من أرض فلسطين، بعد نجاح الصالح نجم الدين، وحلفائه من الخوارزمية، استنقاذ بيت المقدس، وإخراج الصليبيين منها سنة 642هـ/1244م، وأدى ذلك إلى المناداة بإرسال حملة صليبية جديدة، وكان أول من استجاب لذلك، هو البابا أنُوسنت الرابع (Annocent IV)[325]، الذي دعا ملوك أوروبا وأمراءها للمشـــاركة في حملة صليبية، تنقذ بيت المقدس، وتستعيده من الأيوبيين.

استجاب لهذه الدعوة، ملك فرنسا، لويس التاسع(Louis IX) (624-669هـ/ 1246-1270م)[326]، وبدأ يعد العدة للتوجه إلى الشرق.

وصلت أنباء هذه الحملة، التي عرفت بالحملة الصليبية السابعة، إلى مسامع السلطان الصالح نجم الدين، عن طريق الإمبراطور فريدريك الثاني الذي أرسل له رسالة، يخبره فيها بتحرك ملك فرنسا، وبأنه "**عازم على المسير إلى أرض مصر وأخذها**"[327]، كما وصلته معلومات أخرى، تفيد بأن الحملة ستتوجه إلى دمشق،

فأعطى أوامره بتحصينها وتزويدها بالسلاح والآلات[328]، ثم توجه إلى مصر، واستقر بقواته في مدينة أشموم طناح، ليكون على مقربة من الساحة المتوقعة للمعركة[329]، وهناك اتخذ الإجراءات التالية:

1 – حصن مدينة دمياط، وشحنها "**بآلات عظيمة وذخائر وافرة، وجعل فيها [عرب] بني كنانة، وهم مشهورون بالشجاعة**"[330].

2 – عهد إلى الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بقيادة القوات الأيوبية، وأن تعسكر عند البر الغربي لفرع دمياط، لكي تمنع الصليبيين من النزول على ذلك البر، في حين استقرت في منطقة الدلتا، أعداد كبيرة من فرسان المماليك البحرية[331]، الذين كان السلطان الصالح نجم الدين قد اشتراهم، ودربهم تدريباً جيداً [332].

3 – بنى قلاعا جديدة، وملأها بالغلال، والمؤن، تحسبا للحصار[333]

4 – أمر ببناء عدد من السفن وتجهيزها، وإرسالها إلى دمياط[334].

5 – أعلن النفير العام [335].

مع وصول ملك فرنسا لويس التاسع (Louis IX)، إلى مشارف دمياط أوائل محرم سنة 647هـ/ أواخر نيسان 1249م، بدأت مراسلات تهديدية بين الطرفين[336]، ثم أعقبها فشل القائد الأيوبي ؛ الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ في صد الصليبيين، واضطره ذلك لمغادرة مواقعه عند الضفة الغربية لفرع دمياط، نحو الضفة الشرقية، مما احدث ارتباكاً في مدينة دمياط، وجعل أهلها وحماتها من عرب كنانة، يفرون إلى أماكن أكثر أمناً.

وفَّرَ هذا الارتباك في صفوف القوات الأيوبية، الفرصة الملائمة للصليبيين للإستيلاء على دمياط، فقد دخلوها في 22 صفر 647هـ/6 جزيران 1249م، واستولوا على ما كان فيها من أسلحة وذخائر، وغدت مصر كلها بُعَيْد ذلك مهددة بالاجتياح[337].

اتخذ الصالح نجم الدين أيوب من مقره في أشموم طناح، ثم من قلعة المنصورة التي انتقل إليها، عدة خطوات دفاعية، وهجـومية، في آن واحد، وهي:

1 – أصدر عقوبات صارمة بحق شيوخ بني كنانة وأعدم عددا منهم بسبب تقصيرهم في الدفاع عن دمياط، وهروبهم منها، فكان لذلك أثره في قطع دابر التخاذل في صفوف قواته[338].

2 – أعاد تنظيم قواته للدفاع عن البلاد، وجعل المماليك البحرية وقائدهم الأمير بيبرس البندقداري الصالحي[339]، مكانة كبيرة فيه، إذ جعل مواقعهم في مدينة المنصورة لترصد تحركات الصليبيين.

ومع أن خطوات الصالح نجم الدين هذه تمكنت من رفع معنويات قواته، وشجعت المماليك البحرية على شن غارات متعــاقبة على الصليبيين، وأسر الكثير منهم[340]، فإن ذلك لم يمنعهم من اتخاذ قرار الزحف على القاهرة في 11 شعبان 647هـ/19 تشرين الثاني 1249م.

لم يستطع الصالح نجم الدين أن يفعل شيئا تجاه هذا التحرك، فقد اشتد به المرض، وتوفي بعد ثلاثة أيام من بداية الغزو، في 14 شعبان سنة 647هـ/22 تشرين الثاني 1249م، فهل استطاع من تولى السلطنة بعده، مواجهة هذا التحدي الصليبي الخَطِر ؟ وما هي السياسة التي أتبعها تجاه الصليبيين ؟

3.5 السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين في عهد السلطان المعظم تورانشاه والسلطانة شجرالدر (647هـ-648هـ/1249-1250م)

لم يكن أمام شجرالدر[341] ؛ زوجة الملك الصالح نجم الدين الذي توفي وهو يواجه رجال الحملة الصليبية السابعة، سوى أن تتولى قيادة المقاومة والدفاع عن مصر، باسم زوجها، بعد أن أخفت موته عن الناس، وصارت تصدر المراسيم باسمه[342].

تقدم الصليبيون في دلتا النيل، وساروا بمحاذاة الضفة الشرقية لفرع دمياط، حتى وصلوا قبالة مدينة المنصورة، فلما دخلوها انقض عليهم الأمير بيبرس البندقداري وقوات المماليك البحرية الذين كانــوا تحت إمرته، ودخلوا معهم في معركة حاسمة، انهزم فيها الصليبيون، بعد أن خسروا عددا كبيرا من رجالهم[343].

استمرت شجرالدر في إدارة المعركة حتى إذا وصل السلطان الجديد ؛ وهو المعظم تورانشاه[344] بن الصالح نجم الدين، إلى مصر، وتسلم مهامه، تولى إدارة المعركة، وكان أول ما اتخذه من خطوات، متابعة تحركات الملك لويس التاسع الذي بدأ في 647هـ/ 1249م، يزحف بما تبقى من قواته، نحو دمياط، التي كانت ما تزال في يد قواته، في محاولة منه لتحسين موقفه، وتمكينه من الدخول في مفاوضات مع السلطان الجديد[345].

تابع السلطان الأيوبي المعظم تورانشاه ملاحقة الملك لويس التاسع ورجال الحملة، كما قام بإعداد مجموعة من السفن، وزودها بالمقاتلين، ثم أنزلها في نهر النيل، إلى الشمال من المعسكر الصليبي.

وقد كان لهؤلاء دور كبير، في ضرب المراكب الصليبية ليلا ونهاراً، والحيلولة دون وصولها إلي دمياط، كما تمكنوا خلال معارك عديدة، وهي التي عرفت بالمعارك النيلية[346] من " **أسر ألف من رجالهم**"، فضلا عن كميات ضخمة من " **المؤن والعدد** "[347].

أمام هذا الضغط الأيوبي، أضطر الملك لويس التاسع إلى فتح باب التفاوض مع الأيوبيين، حيث أرسل إلى المعظم تورانشاه رسالة، يطلب فيها إعادة "... **بيت المقدس، وفتح ساحل قيسارية وعسقلان، على أن يكون بهما ولاة من المسلمين ومناصفة البلاد، وإقامة الشعائر، ودفع مائتي ألف دينار، للسلطان مقابل نصف دخل البلاد على مدى ثلاث سنوات...** " [348].

من الواضح أن الملك لويس التاسع كان يريد مقايضة الجلاء عن دمياط بإعادة بيت المقدس وغيرها إلى الصليبيين، إلا أن السلطان المعظم تورانشاه رفض هذه المقترحات، وأعطى أوامره للمماليك البحرية وغيرهم من العساكر الأيوبية بالاستمرار في ملاحقة الجيش الصليبي المنسحب نحو دمياط، حتى إذا ما وصل إلى منتصف الطريق إليها عند مدينة فارسكور، انقضت عليه هذه القوات في هجوم واسع، ونجحت في إنزال هزيمة كبرى به، وتمكنت من أسر الملك لويس التاسع نفسه، بينما تشتت جيشه، بين أسير، وقتيل[349].

مكّن انتصار المماليك البحرية في هذه المعركة التي عــرفت بمعركة فارسكور، السلطان المعظم تورانشاه، من فرض شروطه على الملك الأسير لويس التاسع، فقد اشترط عليه أن يتخلى عن عكا، وطرابلس، وأنطاكيا، وعن كل ما كان بأيديهم من بلاد، مقابل الإفراج عنه[350].

رفض الملك لويس التاسع الاستجابة لهذه المطالب، بحجة كونه لا يمتلك سلطانا على الصليبيين في بلاد الشام[351].

ظل باب المفاوضات مفتوحــاً، ثم انتهى الأمر بين الطرفين إلى اتفاق، لم يُكتب للسلطان المعظم تورانشاه التوقيع عليه، فقد قُتل بُعيد ذلك في 28 محرم648هــ / 2 أيار 1250م، وأدى هذا إلى الدخول في مفاوضات جديدة تولتها السلطانة الجديدة، شجر الدر، والتي انتهت إلي توقيع معاهدة صلح أمدها عشر سنوات (648-658هــ/ 1250-1260م)، تتضمن[352]: تسليم الملك لويس مدينة دمياط بكل تحصيناتها، وما كان قد وقع بايديهم من مدن وقلاع وحصون، منذ دخول الملك لويس إلى البلاد، وان يدفع الملك لويس فدية عن نفسه وعن باقي الأسرى الصليبيين، وتعويضا عما تسببوه من خسائر للأيوبيين، اضافة الى اطلاق جميع أسرى المسلمين، سواء من أسروا أثناء الحملة، أو أولئك الذين وقعوا في الأسر منذ سنة 626هــ/1228م.

أما الأيوبيون، فقد تعهدوا مقابل ذلك بإطلاق سراح جميع من وقع في قبضة المسلمين من الصليبيين، منذ وصولهم في حملة لويس الى دمياط، ومنح جميع المرضى من الصليبيين الامان على انفسهم في دمياط حتى خروجهم منها، والمحافظة على عتاد الصليبيين في دمياط حتى تتاح الفرصة لنقلها إلى بلادهم براً أو بحراً.

يتضح مما ورد آنفا أن السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين خلال الحقبة القصيرة التي حكم فيها السلطان المعظم تورانشاه (647-648هــ/1249-1250م)، ثم السلطانة شجر الدر، والتي لم تتجاوز سنة واحدة، كانت استمراراً للسياسة التي انتهجها تجاههم، الصالح نجم الدين أيوب، ومن قبله والده الملك الكامل، فقد تحرت بعد الانتصار على الصليبيين، والتمكن من أسر الملك لويس التاسع، ملك فرنسا،

وجيشه، ألا تدفع بالعلاقات نحو ما يؤزمها، بل لم تتخذ من الموقف الأيوبي القوي هذا، خطوات جادة لاستنقاذ عكا، وطرابلس، وأنطاكيا، وغيرها من البلدان الواقعة تحت الهيمنة الصليبية.

ومع أن السلطان المعظم تورانشاه طالب بذلك شرطا للصلح، إلا أنه لم يلبث أن تنازل عنه لمجرد رفض الملك لويس التاسع له، مع أن الأخير كان أسيرا مع معظم جيشه لدى الأيوبيين، وقــد كان بالإمكان الضغط عليه، وعلى الصليبيين في هذا الاتجاه. كما أن شجر الدر التي حلت في السلطنة محل السلطان تورانشاه؛ هي الأخرى، لم تحاول أن تستفيد من الموقف الضعيف للصليبيين، بما يمكنها من استنقاذ ما كان تحت الهيمنة الصليبية من البلاد، مكتفية بالتركــيز على مدينة دمياط.

4.5 الخاتمة

تحرّت هذه الدراسة تسليط الضوء على السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين بعد صلاح الدين الأيوبي، مقارنةً بالسياسة التي تبناها، والتي تركزت على استنقاذ بيت المقدس وغيرها من المدن الواقعة تحت الهيمنة الصليبية في بلاد الشام، ضمن خطة اعتمدت توحيد الجبهة الداخلية، وترصينها مادياً ومعنوياً، وقد تمكن صلاح الدين فعلاً من تنفيذ هذه الخطة واستنقاذ بيت المقدس ومعظم الأماكن المشار إليها، باستثناء عدد من المدن الساحلية.

وإذا كان صلاح الدين قد عقد أحياناً معاهدات للصلح مع الصليبيين، ومنها صلحه الأخير قبل وفاته بأشهر، والمعروف بصلح الرملة، فإن ذلك لم يكن يعني – كما وضح في الفصل الأول من هذه الدراسة – اعترافاً بوجودهم، وقبولاً للأمر الواقع، بل كان إجراءً مؤقتاً أملته ظروف الحرب، والتوازنات السياسية والعسكرية، في إطار اعتباره صلحاً مؤقتاً، وليس دائماً، مما يعني أنه ترك الباب مفتوحاً لاستئناف خطته لاستنقاذ البلاد مستقبلاً وعندما تتهيأ ظروف مناسبة لذلك.

وقد اتضح من خلال هذه الدراسة، أن السياسة الأيوبية بعد صلاح الدين الأيوبي أخذت مسارات متعددة، ففي عهود كل من الملك الأفضل (589-592هـ/1193-1195م)، وأخيه الملك العزيز عثمان (592-595هـ/1195-

1198م)، ثم الملك العادل (596-615هـ/1199-1218م) تحرت الحفاظ على مضمون صلح الرملة، ومواجهة أية محاولة من قبل الصليبيين للخروج على ذلك بهدف الحيلولة دون الإخلال بالتوازن العسكري والسياسي بين الطرفين، غير أن هذه السياسة أخذت أبعاداً أخرى في عهد السلطان الملك الكامل ومن أعقبه من السلاطين حتى سقوط الدولة الأيوبية، فقد تجاوزت مضمون صلح الرملة، اتفاقية سنة 594هـ/1198م، واتجهت نحو إقامة صلح دائم يستند إلى أسس تناقض سياسة الدولة الأيوبية قبل ذلك، ونعني بذلك طرح فكرة إعادة مملكة بيت المقدس اللاتينية إلى ما كانت عليه قبل معركة حطين، مع استثناء قلعتي الكرك والشوبك من ذلك.

ومع أن هذا الطرح الذي تم عرضه على الصليبيين في عهد الملك الكامل، وعهد ابنه الصالح نجم الدين أيوب، لم يأخذ طريقه إلى التنفيذ إلا في حدود ضيقة، فإنه يعكس سياسة تتبنى الحفاظ على توازن سياسي وعسكري مع الصليبيين حتى ولو كان ذلك على حساب التنازل عن جميع الأراضي التي سبق أن استنقذها صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين.

هذا ما كانت عليه السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين بعد صلاح الدين (569-648هـ/1173-1250م).

قائمة الهوامش

(1) مـــع أن المــؤرخ ابن واصل اعتبر سنة 564هــ/1168م، وهي سنة تولي صلاح الدين الأيوبي الوزارة الفاطمية في مصر بداية الدولة الايوبية، فانه لم يمـــارس صلاحياته باعتباره سلطاناً حتى سنة 570هــ/1174م، اما قبل ذلك فكـــان تابعـــاً للاتابكية الزنكية. انظر: محمد بن سالم بن واصل (ت697هــ/ 1297م)، مفــرج الكــروب في أخبار بني أيوب (عصر صلاح الدين)، تح: جمال الدين الشيال، د.ط، المطبعة الأميرية، القاهرة: 1987م، ج1، ص150، وسيشـــار إليه تاليا: ابن واصل، مفرج الكروب؛ وفاء محمد علي، قيام الدولة الأيوبـــية في مصر والشام، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة: 1407هــ، ص 39، وسيشار إليه تاليا: وفاء محمد، قيام الدولة الأيوبية.

(2) تأسست الاتابكية الزنكية، على يد عماد الدين زنكي سنة 521هــ/1127م، بتفويض من السلطان السلجوقي. انظر عنها: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط1، مكتـبة الأنجلو المصرية، القاهرة: 1963، ج1، ص562، وسيشار إليه تاليا: عاشور، الحركة الصليبية.

(3) أرســل الزنكيون ثلاث حملات عسكرية إلى مصر بين سنتي (559-564 هــ/1163-1168م)، لمواجهة وَرَدّ الغزو الصليبي الذي قاده عموري الأول ملــك مملكـــة بيت المقدس اللاتينية عنها، قاد هذه الحملات الأمير أسد الدين شـــيركوه، واصـــطحب معـــه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الذي برز دوره خلالهـــا عسكريا وسياسيا، وبخاصة بعد وفاة عمه شيركوه في أعقاب الحملة الثالـــثة سنة 564هــ/1168م. عن مشاركة صلاح الدين، ودوره هذا انظر: علـــي بن محمد بن الأثير (ت630هــ / 1232م)، الكامل في التاريخ، راجعه وصـــححه محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1987م، ج 10، ص56، سيشـــار اليه تالياً: ابن الاثير، الكامل؛ التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تح: عبدالقادر طليمات، د.ط، دار الكتب الحديثة، القاهرة:

1963م، ص137-138، وسيشار اليه تالياً: ابن الاثير، التاريخ الباهر؛ عاشور، الحركة الصليبية، ص683-689.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص53؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دولة الملوك، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، د.ط، مصر 1965، ج1، ق1، ص52. وسيشار إليه تالياً: المقريزي، السلوك؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص728؛ وانظر ترجمة نور الدين محمود في عبدالله بن أسعد سليمان اليافعي (ت768هـ/ 1463م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1997، ج3، ص292، ويسشار إليه تاليا: اليافعي، مرآة الجنان.

(5) بعد وفاة أسد الدين شيركوه، قائد القوات الأيوبية سنة 564هـ/1168م، كلف الخليفة الفاطمي العاضد، صلاح الدين الأيوبي، بتولي منصب الوزارة. انظر عن ذلك: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص53؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص680.

(6) واجه صلاح الدين الأيوبي خلال السنوات الثلاث التي أعقبت تسلمه للوزارة الفاطمية، مؤامرات عدة، كان للصليبيين دور كبير فيها. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص17؛ عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص21-26، وسيشار إليه تاليا: عاشور، مصر والشام.

(7) بناء على أوامر نور الدين محمود، قام صلاح الدين الأيوبي بإلغاء الدعاء للخليفة الفاطمي في مصر يوم الجمعة من شهر محرم سنة 567هـ/ أيلول سنة 1171م، وبذلك ألغيت الخلافة الفاطمية، وأصبحت مصر منذ هذا التاريخ تابعة للخلافة العباسية في بغداد. انظر: ابن الأثير، الكامل، ج1، ص34؛ محمد بن عبدالرحيم بن الفرات (ت807هـ/1468م)، تاريخ ابن الفرات، د.ط، الناشر حسن محمد الشماع، مطبعة حداد، البصيرة: 1976، مج4، ج1، ص173-174، وسيشار إليه تاليا: ابن الفرات، تاريخ.

(8) هـو ملك بيت المقدس، تولى بعد وفاة أخيه بلدوين الثالث لعدم وجود ورثه شـرعيين مـن الابناء، وكان إذ ذاك في السابعة والعشرين من عمره. انظر، ولـيم الصـوري، تـاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م، 1990م، ج2، ص 878، وسيشار إليه تالياً: الصوري، الحروب الصليبية؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص 679.

(9) تمكـن الملـك عموري الأول في ثالث حملاته على مصر سنة 562هـ / 1166م أن يحقـق للصـليبيين نفوذاً كبيراً، بموجب اتفاقية عقدت مع الدولة الفاطمـية، حصـل فيها على امتيازات جعلتهم حماة لمصر مقابل دفع جزية سنوية تقدر بـ(160) ألف دينار، و ثلث إيرادات مصر. انظر عن ذلك: ابن الأثيـر، الـتاريخ الباهر، ص 137-138؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص 156؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص 894-899.

(10) انسحب الملك عموري الأول بقواته، بعد توحد الفاطميين والزنكيين ضده، وهـو مـا تجلّى في الحملة الثالثة التي أرسلها نور الدين محمود، بقيادة أسد الـدين شـيركوه، سـنة 564هـ /1168م وترتب على ذلك فقدان الصليبيين لجمـيع الامتيازات والنفوذ الذي كانوا قد حصلوا عليها سنة 562هـ/1166م فـي اعقـاب الحملـة الزنكية الثانية. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج1، ص5؛ المقريـزي، اتعـاظ الحـنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح: محمد حلمي محمـد، د.ط، مطابـع الأهـرام التجارية، القاهرة، 1993م، ج3، ص261، وسيشار إليه تالياً: المقريزي، اتعاظ الحنفا.

(11) ر. س. سميل، عبقرية صلاح الدين الايوبي في الحروب الصليبية، ترجمة محمد ابراهيم الدرويش وفاروق أحمد عيد، ط3، د.ن، د.م، 1995م، ص69 -70، وسيشار اليه تالياً: سميل، عبقرية صلاح الدين.

(12) يوسـف بـن رافـع بن شداد (ت632هـ / 1234م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، (سيرة صلاح الدين)، تح جمال الدين الشيال، ط1، الدار المصـرية للتألـيف والنشر، مصر: 1964م، ص41، وسيشار اليه تالياً: ابن شـداد، النوادر السلطانية؛ سميل، عبقرية صلاح الدين، ص69؛ ملكوم ليونز،

صلاح الدين، ترجمة علي ماضي، حققه نقولا زيادة، د.ط، دار الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت: 1988م، ص52، وسيشار اليه تالياً: ليونز، صلاح الدين.

(13) لم تشهد السنوات (565-569هـ / 1169-1173م) تحركات قوية للصليبيين بل شهدت على العكس من ذلك، ضغطاً، وزيادة في التعزيزات، لحماية مصر واضعاف قوتهم. انظر: ليونز، صلاح الدين، ص 52- 53.

(14) نظراً لقيام صلاح الدين الأيوبي بإسقاط الخلافة الفاطمية، فإن المتضررين جراء ذلك، دبروا مؤامرة، تزعمها مؤتمن الخلافة، بالتعاون مع الصليبيين، والاسماعيلية. وقد خططوها للهجوم على مصر والقضاء على صلاح الدين الأيوبي، إلا أن المؤامرة اكتشفت وتم القضاء عليها، واعدم ابرز رجالها. انظر عن ذلك، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص52؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج1، ص243-259.

(15) ابن الأثير، الكامل، ج1، ص56؛ ابن واصل، مفرج الكروب،ج2، ص2.

(16) ابرز اطراف الصراع هذا، مجموعة من الأمراء الزنكيين، على رأسهم شمس الدين بن المقدم في دمشق، وشمس الدين بن الداية في حلب، اضافة الى امراء الموصل. حول ذلك انظر: الفتح بن على البنداري (ت643هـ / 1245م)، سنا البرق الشامي للعماد الأصفهاني (265هـ / 1166م- 583 هـ / 1187م)، تح: فتحية النبراوي، د.ط، مكتبة الخانجي، مصر: 1979م، ط1، ص153، وسيشار اليه تالياً: البنداري، سنا البرق؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص176؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص 2-16.

(17) واجه الزنكيون في دمشق هذا الحصار، بما يناقض مضمون رسالة كانوا قد بعثوا بها الى صلاح الدين الايوبي، التزموا فيها بالتصدي للصليبيين، واعتبروه فيها الامل المرتجى في مواجهتهم هذه. فقد تفاوضوا مع الملك عموري الاول، وقدموا له تنازلات، مقابل فك الحصار عن بانياس. انظر: عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي أبو شامة (ت665هـ / 1266)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: محمد حلمي محمد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، د.ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والنشـــر، القاهرة: 1962، ج1، ق2، ص589، وسيشار إليه تاليا: أبو شامة، كتاب الروضتين؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص7؛

K.M. Setton, A History of the Crusades, philadelphia, pennsylvania university press, 1955, vol.1, p. 566. Subsequently cited as: Setton, A History of the Crusaders.

(18) اشتملت بنود الصلح على دفع مبلغ من المال، واطلاق مجموعة من الاسرى الصـــليبيين مقابل فك الحصار. انظر: أبو شامه، كتاب الروضتين، ج2، ص 129؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص7؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج2،ص969؛

W.B. Stevenson, The Crusaders in the East, Slim Press, Beruit, 1968, p. 213, Subsequently cited as: Stevenson, The Crusaders in the East.

(19) ابو شامة، كتاب الروضتين، ج2، ص327؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2 ، ص7.

(20) ابن الاثير، الكامل،ج10، ص6؛ ابو شامة، كتاب الروضتين، ج2، ص328؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص8.

(21) المصـــدر نفســه، ج2، ص18، علـــي السـيد علي، "**ملامح الجانب العربي الاســلامي فــي المــواجهة ضد الغزو الصليبي**"، المستقبل العربي، ع102، 1987م، ص60 وسيشار اليه تاليا: علي السيد، ملامح الجانب العربي.

(22) ابن واصل، مفرج الكروب،ج2، ص18

(23) غادر صلاح الدين الأيوبي مصر، نحو بلاد الشام، استجابة لدعوة وجهها له عــدد من أمراء دمشق، من بينهم، شمس الدين بن المقدم، تضمنت ضرورة المجــيء إلـــى دمشق لمعالجة الموقف المتردي بعد تمزق الوحدة. انظر ابن الأثيــر، الكامل، ج10، ص66؛ التاريخ الباهر، ص176؛ ابن شداد، النوادر

السلطانية، ص50؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، ج1، ق2، ص604؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص11.

(24) تولى الصالح إسماعيل الحكم بعد أبيه، ولم يكن له من العمر اكثر من أحد عشر عاماً، مما كان سبباً في بروز حالة من التنافس بين الأمراء الزنكيين، على ادعاء رعايته، وحكم البلاد في عهده، وقد بذلوا جهداً في إبعاد صلاح الدين، عن مشاركتهم هذه الرعاية، خوفاً على مصالحهم وإخراجهم من البلاد. انظر عن ذلك: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص58؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص11؛ Setton, A History of the Crusaders, vol. 1, pp 566-567

(25) وقف الامراء الزنكيون في حلب والموصل في وجه صلاح الدين الايوبي عندما حاول التوجه نحو المدينتين، بل أنهم تحالفوا مع الاسماعيلية، وخططوا لاغتياله، كما تحالفوا مع الصليبيين ضده. انظر عن ذلك: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774هـ / 1372م) ، البداية والنهاية، تح: أحمد ملحم، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1990م، ج12، ص293، وسيشار اليه تالياً: ابن كثير، البداية؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص62.

(26) قامت أولى هذه الحروب في رمضان سنة 570هـ / 1174م، عند منطقة تعرف بقرون حماة، التي تشرف على مدينة حماة، وقد انتهت بهزيمة الزنكيين، وإجبارهم على التفاوض، ثم دخولهم في صلح، أُقر بموجبه لصلاح الدين ما كان بيده من بلاد الشام، وللزنكيين ما بأيديهم منها. انظر: ابن الاثير، الكامل،ج10، ص69-70؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص33، احمد بن عبدالوهاب النويري (ت733هـ / 1332م)، نهاية الارب في فنون الادب، تح: محمد محمدأمين، محمد حلمي احمد، د.ط، مركز تحقيق التراث، د.م، د.ت، ج28، ص378، وسيشار اليه تالياً: النويري، نهاية الارب؛

P. M. Holt, The Age of the Crusades (the Near East From Eight Century to 1517), London 1986, p.54 subsequently cited as: Holt, The Age of the Crusades.

(27) تحالف الزنكيون مع حاكم طرابلس؛ ريموند الثالث (Raymond III) واتفقوا علـــى مهاجمة القوات الايوبية في حمص، للقضاء على صلاح الدين الايوبي، بادر الصليبيون الى إرسال رسائل الى صلاح الدين الايوبي يحذرونه فيها من عاقــبة القــدوم الـــى دمشق، الا انه نجح في التصدي لهم عند مدينة حمص، واغـــار على مناطقهم في انطاكيا، وبعلبك. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج10، ص68؛ المقريــزي، السلوك، ج1، ق1، ص59؛ Setton, A History of the Crusaders , p.567.

(28) هي فرقة من الشيعة، تنادي بالامامة لاسماعيل؛ الابن الاكبر لجعفر الصادق بعـــد مـــوته، اسســـها الحســـن بـــن الصباح. انظر عادل سالم العبد الجادر، الاسماعيليون، ط1، د.ن، الكويت 2000م، ص16، وسيشار اليه تالياً: عادل سالم، الاسماعيليون.

(29) محمـــد بن محمد بالعماد الأصفهاني (ت597هـــ / 1200م)، البرق الشامي، تـــح: فالح حسين، ط1، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان 1987م، ج5، ص 41، وسيشـــار الـــيه تالـــياً: العمـــاد الاصفهاني، البرق الشامي؛ ابن الاثير، الكامل،ج10، ص58؛ محمد بن عمر الأيوبي بن شاهنشاه (677هـــ / 1120 م)، مضـــمار الحقائـــق وسر الخلائق، تح: فالح حسين، د.ط، د.ت، القاهرة، 1986م ص112، وسيشـــار الـــيه تالـــياً ابن شاهنشاه، مضمار الحقائق؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص124.

(30) عمـــر بـــن أحمد بن العديم (ت.660هـــ / 1261م)، زبدة الحلب من تاريخ حلـــب، تـــح: سامي الدهان، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1986م، ج3، ص56، وسيشار اليه تالياً، ابن العديم، زبدة الحلب؛ ابن كثير، الـــبداية، ج12، ص291؛ ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة

السيد الباز العريني، د.ط، دار الثقافة، بيروت 1997م،ج2، ق2، ص68، وسيشار اليه تالياً: رنسيمان، الحروب الصليبية؛ ستانلي لين بول، صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس، ترجمة فاروق سعد ابو جابر، ط1، مطابع الاهرام، قليوب 1995م، ص، وسيشار اليه تالياً: لين بول، صلاح الدين.

(31) ابن واصل، مفرج الكروب،ج2، ص49.

(32) المصدر نفسه، ج2، ص75؛ Setton, A History of the Crusades, vol-I.p.576.

(33) البنداري، سنا البرق، ص159؛ ابو شامه، كتاب الروضتين، ج1، ق2، ص 697؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص59؛

Holt ,The Age of the Crusades, p.54; Setton, A History of the Crusades, vol 1, p, 573.

(34) إسماعيل بن علي أبو الفدا (ت732هـ / 1331م)، تاريخ ابي الفدا المسمى المختصر في اخبار البشر، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج2، ص142، وسيشار إليه تالياً: أبو الفدا، المختصر؛ النويري، نهاية الارب، ج28، ص38.

(35) ورد في رسالة صلاح الدين الى الخليفة العباسي " فان القوم قد اجترأوا على الاسلام باسلامه، واجترحوا كسب الذم في فض ذماره، ونقص ذمامه واستنصروا بالنصارى -أي الفرنج -، وبذلوا لهم البذول منقودة وموعودة، واخرجوا منها الفرنج الى ثغور الشام: جنودا محشودة، وهم الى الآن في حصنهم الذي لا حظّ لهم فيه، الا عاجل الخسار". انظر العماد الاصفهاني، البرق الشامي، ج3، ص42.

(36) انظر الملحق رقم (1).

(37) الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص1016؛ عمر كمال توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986، ص157، وسيشار إليه تالياً: عمر كمال، الدبلوماسية الإسلامية؛ Setton, A History of the Crusaders, vol 1, p.580.

(38) هاجم رينالد دي شاتيون سنة 577هـ/1181م قافلة تجارية في منطقة تيماء الحجازية كانت متجهة من دمشق إلى مكة المكرمة، واستولى على أموالها، وأسر رجالها، وبناءً على معلومات وصلت إلى الأمير عز الدين فرخشاه نائب صلاح الدين في دمشق عن نية رينالد بارون الكرك التابع لمملكة بيت المقدس الهجوم على مقدسات المسلمين في المدينة المنورة، سار إلى أعمال الكرك فنهبها لمنع رينالد من المسير إلى هناك، وبعد عودة رينالد من حملته الفاشلة على الحجاز سنة 577هـ/1181م قام بإعداد أسطول يمكنه من تحقيق هدفه فأعطى أوامره بصنع سفن ثم تركيبها في البحر الميت ونقلها مجزأة على ظهور الجمال نحو البحر الأحمر، وكان أول ما قام به هو الهجوم على مدينة أيله والاستيلاء عليها، إلا أن هذه الحملة انتهت بالفشل وتمكن الأيوبيون من قتل أو أسر أكثر رجالها. انظر أحمد عبدالله الحسّو، الكرك عبر العصور، ط1، وزارة الثقافة، عمان 2004م ص56-58. وسيشار إليه تاليا: الحسّو، الكرك عبر العصور.

(39) برع صلاح الدين الأيوبي في الحصول على السلاح من مصادر عديدة، منها اشتراطه على الملك بلدوين عند عقد الاتفاقية معه سنة576هـ / 1180م حرية التجارة والتنقل، مما ضمن له التزود بالخشب والحديد براً وبحراً، من جبال لبنان ومناطق اخرى، كما نجح أيضاً في الحصول على السلاح من الفرنج أنفسهم وقد افتخر بذلك في احدى رسائله للخليفة العباسي. انظر: العماد الأصفهاني، البرق الشامي، ج5، ص142؛ موفق الدين بن الديباجي (ت635هـ / 1237م)، رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضي

الفاضل، تح محمد نغش؛ ط1، د.ط، القاهرة، 1984م، ص105، وسيشار اليه تالـياً: ابن الديباجي، رسائل عن الحرب؛ محمد بن إبراهيم بن شداد (ت648 هـ / 1250م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح سامي الدهان، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق 1956م، ج 2، ق2، ص101، وسيشار اليه تالياً: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة؛ الصوري، الحروب الصليبية، ج2، ص1017؛

Cl, Cahen, Ayyubids, The Encyclopedia of Islam, New edition, 1979, Vol.1, p. 797, subsequently cited as: Cahen, Ayyubids.

(40) انظـر عن ذلك: دريد عبدالقادر نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصـر والشـام والجزيرة (570-589هـ / 1174-1193م)، د.ط، مطبعة الارشـاد، بغـداد: 1976، ص464، وسيشار اليه تالياً: دريد نوري، سياسة صلاح الدين، جوناثان رايلي سميث، الاسبتارية فرسان القدس يوحنا في بيت المقـدس وقبـرس 1050-1310، ترجمه صبحي الجابي، ط1، دار طلاس للدراسـات والتـرجمة، دمشـق 1989م، ص89 وسيشار اليه تالياً سميث، الاسبتارية؛ كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشـيخ، ط1، دار سـينا للنشر، القاهرة 1995م، ص188، ويشار اليه تالياً: كاهن، الشرق والغرب؛

Cahen, Ayyubbids, Vol.1, p.797 ; Setton, A History of the Crusaders, vol. 1, p.586

(41) عبيـر أحمـد المحاسـنة، موقف العلماء والأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبـي (569-648هـ / 1173-1250م)، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف أ.د أحمد عبدالله الحسو، جامعة مؤته، 2002م، ص104-114؛ علي السيد علي، "**المقاومة الشعبية للغزوة الصليبية في بلاد الشـام (491-690 هـ / 1097-1291)**"، مجلـة العصـور، مج6، ج2، 1991، ص262، وسيشار إليه تاليا: علي السيد، المقاومة الشعبية.

(42) يلاحظ أن الخطوات التي اتخذها صلاح الدين تجاه زنكيي حلـب والموصل (570-579هـ / 1174-1183م) مكنـته من أن يضرب طوقاً عليهم، فقد كـان يسيطر على سنجار، ونصيبين، وحران، والخابور، والرقة، وسروج، وحـارم، بل اصبح يسيطر على منطقة ممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى الـنوبة جنوباً. انظر: العماد الأصفهاني، البرق الشامي، ج5، ص42 – 53؛ ابـن الأثير، الكامل، ج10، ص116؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، ج3، ص 171؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص142.

(43) طالـب عمـاد الدين زنكي الثاني تعويضه بمدينة سنجار مقابل تسليم صلاح الـدين مديـنة حلـب، على ألا يدخل في مواجهة عسكرية ضده فوقع الصلح بينهما في صفر 579هـ/ حزيران 1183م. انظر: العماد الأصفهاني، البرق الشـامي، ج5، ص119؛ أبـو شامة، كتاب الروضتين، ج3، ص171؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص42.

(44) مـنح صـلاح الـدين الايوبي، عماد الدين زنكي الثاني الخابور، ونصيبين، والـرقة، وسروج. انظر: العماد الاصفهاني، البرق الشامي، ج5، ص119؛ ابو شامة، كتاب الروضتين، ج3، ص171؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص42.

(45) بعـد أخذه لحلب، تحرك صلاح الدين الايوبي بقواته، نحو الموصل لإخضاع الزنكيين فيها، غير انهم آثروا الصلح على المواجهة، فتم عقد صلح معهم في ذي الحجة سنة 581هـ / 1185م. انظر: ابن الاثير، الكامل، ج10، ص81، ص134؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2 ص172.

(46) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2ص18.

(47) ستيفنسـن، "**معركة حطين وتحرير القدس**"، ترجمه: كاظم سعد الدين، وهو الفصـل الخامس من كتاب، The Crusaders in the East، مجلة المورد، مج 27، ع 34، 1999، ص42؛ ستانلي لين بول، صلاح الدين، ص174.

(48) بعـد معركة حطين استنقذ صلاح الدين مدن عكا، الناصرة، قيسارية، حيفا، صـفورية، معلـيا، الشـقيف، الفولة، الطور، يافا، سبسطية، صيدا، بيروت، جبيل، عسقلان، الرملة، الداروم، غزة، أما بيت المقدس فقد تم استنقاذها في 27رجـب 583هـ / 1187م، ولم تحل سنة 585هـ / 1189م حتى تمكن الأيوبـيون من استنقاذ ما تبقى من شمال الشام وهي حصن الأكراد، هونين، تبنـين، صهيون، صفد، كوكب، بكاس، برزية، دربساك، الشغر، بغراس، ولم يتـبق بأيـدي الصـليبيين إلا أجزاء من طرابلس، وانطاكيا، وصور. انظر الخارطة رقم (1) والملحق رقم (ب).

(49) شارك في هذه الحملة فريدريك بربروسا (Frederick Barbarossa) (547-586هـ / 1152-1190م)، امبراطور المانيا، وفيليب اوغسطس(Philip Augustus) (576-620هـــ / 1180-1223) ملك فرنسا، وريتشارد قلب الاســد (Richard the Lion Harted) ملــك انجلتــرا. انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية، ص123-131، ابن واصل، مفرج الكروب، ج2،ص318

J.B. Bury, The Cambridge Medieval History, 1957, Vol. V, pp 310-312, Subsequently cited as: Bury, The Cambridge Medieval History; Holt , The Age of the Crousadas, p.58.

(50) وجــه صــلاح الــدين الأيوبي رسائل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله، صــوّر فــيها خطــورة الموقف جاء فيها أنه:"... قد بلي الإسلام منهم – أي الفرنج – بقوم قد استطابوا الموت واستجابوا الصوت... ولا يجيدون مع كثرة المشــاق ملالاً، بل يتساقطون على النيران تساقط الفراش، ويقتحمون الردى متدرعــين الصــبر..."، كما أرسل رسالتين إلى سلطان المغرب أبى يوسف يعقــوب بــن عبد المؤمن طلب فيها العون العســكري قائلاً: "... فان كانت الاســاطيل بالجانــب المغربي ميسرة، العدة منها متوفرة، والرجال في اللقاء فارهة، وللمسير غير كارهة، فالبدار البدار وأنت أيها الأمير اول من استخار الله وســار. وان كانــت دون الأسطول موانع: اما من قلة عدة، او من شغل

هنالك بمهمة، او بمباشرة عدة ما تحصن منه العورة، او لاحت منه الفرصة؛ فالمعـــونة ما طريقها واحدة، ولا سبيلها مسدود، ولا أنواعها محصورة، تكون تـــارة بالرجال، وتارة بالمال... ". انظر هذه الرسائل لدي: أبو شامة، كتاب الروضتين، ج4، ص120؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص496-504؛ احمــد بن علي القلقشندي (ت821هـــ / 1418م)، صبح الأعشى في صناعة الانشـــا، د.ط، المطـــبعة الأميرية، دار الكتب المصرية، د.ت، ج7، ص23، وسيشـــار الـــيه تالـــياً: القلقشـــندي، صبح الأعشى؛ رشيد عبد الله الجميلي، "العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى 567-589 هــــ/ 1171-1193م"، المؤرخ العربي، ع 35، 1988، وسيشار إليه تاليا: الجميلي، العلاقات السياسية.

(51) ابـــن الاثير، الكامل،ج10، ص198، ابن شداد، النوادر السلطانية، ص168؛ جلال حسنى عبد الحميد، عكافي اثناء الحملة الفرنجية الصليبية الثالثة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، 1993، ص76.

(52) نجح الأيوبيون بصد الصليبيين والصمود أمامهم عند حصار عكا 586هـــ / 1190م، وبخاصـــــة بعـــد نجاح صلاح الدين في تجديد حاميتها وانزال قوات جديـــدة، كما انهم أوقعوا خسائر كبيرة في جيش الصليبيين في موقعة أرسوف (587هـــ / 1191م) رغم قلة عددهم. انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي فـــي الفـــتح القدســـي، تح: محمد محمود صبح، د.ط، الدار القومية، القاهرة 1965م، ص414، وسيشـــار اليه تالياً: العماد الأصفهاني، الفتح القسي؛ ابن شـــداد، النوادر السلطانية، ص168، 184؛ ابن واصل، مفرج الكروب ج2، ص367-368.

(53) مع أن الأيوبيين حققوا نجاحات عديدة في هذه المعركة، الا انهم لم يستطيعوا حسم الموقف لصالحهم فاضطروا الى عقد اتفاقية مع الصليبيين لإنقاذ حاميه عكا سنة 587هـــ / 1191م، كان لصالح الصليبيين للدفاع عن بيت المقدس، تضـــمنت اطـــلاق اسرى الصليبيين واعادة صليب الصلبوت، ودفع مائة ألف

دينـــار. انظـــر العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص282؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص173؛ أبو شامه، كتاب الروضتين، ج4، ص260.

(54) جاء على لسان رتشارد قلب الأسد في طلب الصلح: "أن المسلمين والفرنج قد هلكـــوا، وخــــربت البلاد، وخرجت من يد الفريقيين بالكلية، وقد تلفت الأموال والأرواح مــــن الطائفتـــين، وقد أخذ هذا الأمر حقه، وليس هناك حديث سوى القـــدس والصـــليب، والـــبلاد، والقدس فمتعبدنا ما ننزل عنه، ولو لم يبق منا واحـــد، واما الـــبلاد فيعاد إلينا منها ما هو قاطع الأردن، واما الصليب فهو خشبة لا مقدار له عندكم، وهو عندنا عظيم، فيمنُ به السلطان علينا ونصطلح ونستريح من هذا العناء الدائم ". انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية ص194.

(55) المصدر نفسه، ص193-234

(56) ابـــن شداد، النوادر السلطانية ص233؛ ابن واصل، مفرج الكروب ج2، ص 103؛ غـــوانمه، معاهـــدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج، ط1، دار الفكـــر للنشر، عمان 1995م، ص41، وسيشار اليه تالياً، غوانمه، معاهدات الصلح.

(57) ابـــن شـــداد، النوادر السلطانية، ص235؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، ج4، ص312؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص404، وانظر الخارطة رقم (2).

(58) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص235

(59) فـــي أعقـــاب وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة 589هـــ / 1193م، دخل أبناء وأمـــراء البـــيت الأيوبي في صراع على السلطة بين بعضهم بعضاً، وهو ما يطلـــق عليه المؤرخون حرب الوراثة التي انتهت بهيمنة أخي صلاح الدين، علـــى أطراف الصراع، ومن ثم وصوله الى السلطنة سنة596هـــ / 1199م. انظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص136؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج

2، ص913؛ الأيوبيون والمماليك في مصر الشام، ط2، دار النهضة العربية، مصر 1976م، ص76-80، وسيشار إليه تالياً: عاشور، الأيوبيون والمماليك.

(60) هو علي بن يوسف الملقب بالأفضل، الابن الأكبر لصلاح الدين الأيوبي، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه سنة 589هـ/1193م. عن ذلك انظر: العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص356، ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص56-57؛ عمر بن مظفر بن الوردي (ت 742هـ/1341م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1996م، ج2، ص106، وسيشار إليه تالياً: ابن الوردي، تاريخ؛ أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت 874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، علق عليه محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج6، ص111، وسيشار إليه تالياً: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، وانظر ترجمة حياته لدى: خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، باعتناء س. ديدرينغ، د.ط، دار صادر، بيروت: 1992م، ج22، ص442، وسيشار إليه تالياً: الصفدي، الوافي بالوفيات.

(61) وقع السلطان الملك الافضل تحت تأثير الامراء المحيطين به، مما جعله متردداً في قراراته. انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص15؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص115

(62) هو العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان نائباً عن أبيه في مصر. انظر: المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص114؛ محمد بن احمد بن إياس، (ت930هـ/1523م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983م، ج1، ق1، ص250، وسيشار إليه تالياً: ابن اياس، بدائع الزهور. وانظر ترجمة حياة الملك العزيز لدى: إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق، (ت 809هـ / 1406م)، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تح: محمد كمال الدين عز الدين علي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1985م، ج2، ص20،

وسيشـــار الـــيه تالـــياً: ابن دقماق، الجوهر الثمين؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص109.

(63) هو سيف الدين أبو بكر، أخو السلطان صلاح الدين، ولد في بعلبك سنة 540 هـــ/1245م، وقيل في دمشق، عرف بالدهاء والحنكة السياسية، كان صلاح الدين يتيمن بمشورته، ولا يقطع امراً دون سماع رأيه أو مكاتبته. أنظر عنه: ابـــو شـــامه، كتاب الروضتين، ج3، ص191؛ أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان (ت 681 هـ / 1282م)، وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، مراجعة وزارة المعـــارف العمومـــية، الطـــبعة الاخيره، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصـــر، د.ت، ج5، ص74، سيشـــار اليه تالياً: ابن خلكان، وفيات الاعيان؛ محمـــد بـــن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/1347م)، العبر في خبر من غبـــر، تـــح: أبـــو هاجـــر محمد السيد بن بسيوني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1985، ج3، ص167، وسيشار إليه تاليا: الذهبي، العبر.

(64) عن تأثيرات الملك العادل هذه وجهوده في ايصال الملك العزيز الى السلطنة، انظر: ابن الاثير، الكامل، ج10، ص243؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ص135 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص66.

(65) هـــو المنصـــور محمـــد بـــن عثمان بن يوسف، الابن الأكبر للسلطان الملك العزيـــز، ولد سنة 585هـ/1189م في القاهرة، اتفق الأمراء على توليته بعد وفاة أبيه سنة 595هـ/1189م، بوصاية الملك الأفضل عليه لصغر سنه، وقد خُلع عن السلطنة في شوال سنة 596هـ/1199م واخرج الى حلب سنة 599 هـــ /1202م. انظر ترجمة حياته لدى: المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 145؛ احمـــد بـــن إبراهيم الحنبلي العسقلاني، (ت 876هـ/1471م)، شفاء القلـــوب في مناقب بني ايوب، تح: ناظم رشيد، د.ط، وزارة الثقافة والفنون، العراق 1978، ص340، وسيشار اليه تالياً: العسقلاني، شفاء القلوب.

(66) عــن الأحداث التي اكتنفت هذه الحقبة انظر: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 255؛ ابــن واصــل، مفــرج الكــروب، ج2، ص111؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص152-154؛ Holt, The Age of the Crusades ., P. 61 .

(67) ابــن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص147؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص111.

(68) انظر الخارطة رقم (2).

(69) أبــن شـــداد، النوادر السلطانية، ص234؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، ج4، ص312؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص404.

(70) مؤلف مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ الى روثلان (1229-1261م)، تــرجمة اســامة زكي زيد، ط2، دار المصطفى للطباعة، طنطا 2001م، ص49، وسيشــار إلــيه تالياً: مؤلف مجهول، تتمة وليم الصوري، وانظــر عن البابا انوسنت الثالث، الذي كان على رأس البابوية (595-613 هـــ/1198-1216م): رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص195-200؛ عاشــور، الحــركة الصليبية، ج2، ص929؛ ارنست باركر، الحروب الصــليبية، تــرجمة السيد الباز العريني، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت 1967م، ص96، وسيشار اليه تالياً: باركر، الحروب الصليبية.

(71) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص115.

(72) المصدر نفسه، ج1، ق1، ص115.

(73) العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص357؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 442؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص115. عن الامير عز الدين جرديك النوري الذي حكم بيت المقدس حتى سنة 594هـــ/1197م، انظر: ابو شامة، تــراجم رجــال القــرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين،

صــحـحه محمد بن زاهر بن الحسن الكوثري، راجعه عزت العطار الحسيني، ط2، دار الجيل، بيروت 1974م، ص13، وسيشار اليه تالياً: ابو شامة، كتاب الذيل؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج6، ص229.

(74) ابــن واصــل، مفرج الكروب، ج3، ص15؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص115.

(75) وقع الملك الافضل تحت تأثير الامراء الايوبيين الذين طلبوا منه التراجع عن تــنازله عن بيت المقدس للملك العزيز عثمان، وتعهدوا له بأنهم قادرون على توفيــر المــال والحمايــة للمديــنة دونما حاجة الى احد. عن ذلك انظر: ابن واصــل، مفــرج الكروب، ج3، ص15؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 115.

(76) أبــو شامة، كتاب الذيل، ص6؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 110؛ جـبله مدينة على ساحل البحر المتوسط قرب اللاذقية، استنقذها صلاح الــدين مــن الفرنج سنة 584هـ/1188م بالأمان. انظر: ياقوت بن عبدالله الحموي (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، مج2، ج3، ص31، وسيشار إليه تاليا: ياقوت الحموي، معجم البلدان.

(77) اتفــق الصليبيون ومتولي بيروت على دفع مبلغ خمسة الآف دينار، وبتواطؤ مجموعة من الأكراد، تسليم مدينة جبيل مقابل اعطائهم ثلاث ضياع من عمل طــرابلس، انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص26؛ النويري، نهاية الارب، ج28، ص442؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص116؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص203؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص170.

(78) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص116.

(79) المصدر نفسه، ج1، ق1، ص116.

(80) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص26.

(81) هـو غـياث الـدين غازي بن صلاح الدين، ولد سنة 568هـ/1172م في مصـر، وقـد زاحم الملك الأفضل مناصراً الملك العادل، وأخاه العزيز على المُـلـك، ملك حلب بعد وفاة أبيه، توفي بالحمى سنة 613هـ/1216م، أنظر تـرجمته: أبو شامة، كتاب الذيل، ص49؛ عبدالحي أحمد ابن محمـد الحنبلي (ت. 1089هـ، 1678م)، شـذرات الذهب في أخبار من ذهب، د.ط، دار إحـياء التـراث العربـي، بيـروت: د.ت، ج5، ص56. وسيشار اليه تالياً: الحنبلي، شذرات الذهب.

(82) ابـن الأثير، الكامل، ج10، ص234؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 31-45؛ النويـري، نهاية الأرب، ج28، ص245؛ جبران، نعمان، دراسات فـي تـاريخ الأيوبيـين والمماليك، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعـية، إربد:2000م، ص140-141، وسيشار إليه تاليا: نعمان جبران، دراسات في تاريخ الأيوبيين.

(83) تمت المفاوضات بين الملك الأفضل والصليبيين بتوسط بيزنطي مثل الجانب الأيوبـي فيه؛ شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة، وقد اشترط البيزنطيون، إعـادة صـليب الصلبوت، مقابل إعادة مدينة جبيل إلى الايوبيين. حول ذلك، أنظر: النويري، نهاية الأرب، ج28، ص443؛ المقريزي، السلـوك، ج1، ق 1، ص121.

(84) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص239-240؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص41-42؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص124-125.

(85) هـم أمـراء ثغـر بيروت، من أسرة بحتر التنوخية التي يرجع تاريخها في المـنطقة إلـى أوائل القرن الثاني عشر الميلادي. انظر يحيى بن صالح، (ت 840هـ/1436م) تاريخ بيروت، تح: فرنسيس هورس اليسوعي وآخرون، د.ط، دار المشرق، بيروت، 1986م، وسيشار إليه: يحيى بن صالح، تاريخ.

(86) هــو جمـــال الدين حجي بن كرامة بن بحتر التنوخي، اصغر أبناء كرامة بن بحتر، اقطعه صلاح الدين مدينة بيروت بعد استنقاذها سنة 583هـ/1187م، انظر: يحيى بن صالح، تاريخ، ص45-46.

(87) المصدر نفسه، ص47.

(88) المصـــدر نفسه، ص47-48؛ حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط (توفـــي بُعـــيد 929هـ/بُعيد 1920م)، تاريخ ابن سباط، صدق الأخبار، تح: عمـــر عبدالســـلام تدمري، جروس برس، ط1، طرابلس، 1963، ص214-215، سيشار إليه تاليا: ابن سباط، تاريخ.

(89) ابـــن الأثير، الكامل، ج10، ص242؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 62؛ المقريـــزي، السلوك، ج1، ق1، ص135؛ صرخد بلد ملاصق لحوران من أعمال دمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج3، ج5، ص184.

(90) انظر ص31-32 من عهد الملك الأفضل.

(91) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص139؛ المقصود بالبطسية: السفينة الكبيرة ، وهـــي تستخدم للحرب ولنقل البضائع ، وتحمل ما بين ثلاثمائة الى سبعمائة مقاتل. انظر ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص49.

(92) ابـــن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص246 ، النويري ، نهاية الأرب ، ج28 ، ص454؛ عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ت 808 هـ /1405م) ، تاريخ ابـــن خلدون، المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في ايام العرب والعجـــم والبربـــر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ؛ ط1، دار احياء التـــراث العربـــي ، بيروت، 1999م ، ج5 ، ص328، سيشار إليه تاليا: ابن خلـــدون، تـــاريخ؛ المقريـــزي، الســـلوك، ج1، ق1، ص139؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، مج 3 ، ق1 ، ص170.

(93) غــريغوريوس ابو الفرج بن أهرون بن العبري (ت 685هــ /1286م) ، تاريخ الزمان ، ترجمة الاب اسحق أرملة ، قدم له الاب جان موريس ، د.ط، دار المشـــرق ، بيروت 1986، ص230 ، وسيشار إليه تالياً: ابن العبري ، تاريخ الزمان.

(94) ابـــن الاثير ، الكامل ج10 ، ص246؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص71؛ المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق1 ، ص140.

(95) ابـــن الأثيـــر ، الكامل ، ج10 ، ص246؛ ابو شامة، كتاب الذيل ، ص11؛ النويري، نهاية الأرب ، ج28 ، ص454؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، مج 3 ، ق1 ، ص171؛ Holt, The Age of the Crusades, p. 62

(96) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص74.

(97) المصـــدر نفسه ، ج3 ، ص75؛ Holt, The Age of the Crusades, p. 62.

(98) ابن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص247؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص76؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، مج3 ، ق1 ، ص178.

(99) هــو عــز الدين اسامة الجبلي، احد كبار امراء الدولة الايوبية، ولاه صلاح الـــدين بيروت وكوكب وعجلون، مات في سجن الكرك سنة (609هــ/1212م)، انظــر: ابو شامه، كتاب الذيل ص80؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص209.

(100) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج3 ، ص74.

(101) ابـــن الاثير ، الكامل ، ج10 ، ص246؛ ابو شامة ، كتاب الذيل ، ص10؛ ابـــن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ط1 ، دار المسيرة ، بيروت ، د.ت ، ص225 ، وسيشـــار الـــيه تالياً: ابن العبري ، مختصر الدول؛ ابن واصل ،

مفرج الكروب ، ج3 ، ص75؛ رنسيمان ، الحروب الصليبية ، مج3 ، ق1 ، ص171؛ Stevenson, The Crusaders in the East, p.294.

(102) رنسيمان ، الحروب الصليبية ، مج3 ، ق1 ، ص 171.

(103) ابـن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص74؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص141؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ف1، ص171.

(104) ابـن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص71؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص140؛ Stevensen, The Crusaders in the East, P. 294.

(105) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص140؛ ابن سباط، تاريخ، ج1، ص219

(106) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص246؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص1، ص140 Stevensen, The Crusaders in the East, P. 294.

(107) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص142.

(108) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص142.

(109) ابـن الأثير، الكامل، ج10، ص247؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص110؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص141؛ Stevensen, The Crusaders in the East, P.294.

(110) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص247؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 76،78؛ أبـو الفداء، المختصر، ج2، ص183؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص 111؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص141؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص 205، ذكر بعض المؤرخين أن أمد هذه الهدنة خمس سنوات وشهور. أنظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص13 الذهبي، دول الإسلام، تح: فيهم محمد شلتوت ومحمـد مصطفى إبراهيم، عنى بطبعه ونشره عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، د.ط، دار إحـياء التـراث العربي الإسلامي، قطر: 1988م، ج2، ص180

وسيشـــار إليه تاليا: الذهبي، دول؛ ميخائيل زوباروف، الصليبيون في الشرق، تــرجمة إلــياس شاهين، د.ط، دار التقدم، موسكو 1986، ص282، وسيشار إليه تاليا: زوباروف، الصليبيون.

(111) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص230؛ Stevenson, The Crusaders in the East, P.296

(112) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص247؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 78؛ المقريـــزي، الســـلوك، ج1، ق1، ص141؛ Stevensen, The Crusaders in the East, P.296.

(113) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص247؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص204.

(114) أبــو شامة، كتاب الروضتين، ج3، ص191 – 192؛ المكين، جرجس بن العمــيد (ت672هــــ/1273م)، أخبار الأيوبيين، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصــر، د.ت، ص9 وسيشـــار إلـــيه تالياً: ابن العميد، أخبار الأيوبيين؛ ابن خلكـــان، وفـــيات الأعـــيان، ج5، ص7؛ الذهبـــي، العبـــر، ج3، ص167؛ المقريـــزي، الســـلوك، ج1، ق1، ص194؛ Holt, The Age of the Crusades, p. 62.

(115) عــن الظروف التي أوصلت الملك العادل إلى السلطنة، أنظر: ابن الأثير، الكامــل، ج10، ص256؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص207-210؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص456-462؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص147.

(116) عــن سنوات (594-599هــ/1197-1202م)، أنظر: يوميات ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص80-134؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص143-159.

(117) ابـن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص35؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص161؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص181؛ عاشور، مصر والشـام، ص75-76؛ Stevenson, The Crusaders in the East, p.296 .

(118) رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص199.

(119) المصـدر نفسه، مج3، ق1، ص186؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص 941؛ سـيد عبدالعزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986، ص127، وسيشار إليه تاليا: سيد عبدالعزيز، تاريخ مدينة صيدا؛ Stevenson, The Crusaders in the East. P.296.

(120) رنسـيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص186؛ Rene. Crousset, Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jrusalem P. 181. Subsequently cited as: Crousset, Histoire des Croisades ; Stevenson, The Crusaders in the East. P.296

(121) ابـن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص13؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص160.

(122) إقلـيم الجلـيل: سلسلة جبال تمتد في ساحل الشام إلى قرب حمص، أنظر: الحموي، معجم البلدان، مج1، ج2، ص256.

(123) رنسـيمان، الحـروب الصـليبية، مج3، ق1، ص187؛ عاشور، الحركة الصـليبية، ج2، ص942؛ Stevenson, The Crosaders in the East, P.297.

(124) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص141؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص161.

(125) ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص155.

(126) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص141؛ ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص 335؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص161.

(127) الـــزردخاناة: هي خزائن السلاح أو الزرد، تعني هنا صناع السلاح. أنظر: مؤلـــف مجهـــول، خزانة الســـلاح، تح: نبيل محمد عبدالعزيز، د.ط، مكتبة الأنجلـــو المصرية، القاهرة،1978، ص5، وسيشار إليه تاليا: مؤلف مجهول، خـــزائن الســـلاح؛ نبـــيل محمد عبدالعزيز، "**خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك**"، المجلة التاريخية المصرية، مج23، 1976، ص 107.

(128) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص135؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، 160.

(129) أرنســـت باركر، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، د.ط، دار النهضـــة العـــربية، بيـــروت: 1967م، ص103. وسيشار اليه تالياً: باركر، الحروب الصليبية؛

Setton, A History of the Crusades, Vol. II, P. 161 ; Stevenson, The Crusaders in the East. P.297

(130) رنســـيمان، الحـــروب الصـــليبية، مج3، ق1، ص206-207؛ زوباروف، الصـــليبيون في الشرق، ص232-233؛ Cahen, Ayyubids, Vol I, P. 800

(131) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص175: عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بـــين الشرق والغرب في العصور الموسطي، ط1، دار دمشق، 1980م، ص 191-193 وسيشار إليه تاليا: زيتون، العلاقات الاقتصادية.

(132) رنســـيمان، الحـــروب الصليبية، مج3، ق1، 208؛ Stevenson, The Crusaders in the East. P.296-297.

(133) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص143؛ Stevenson, The Crusaders in the East. P.297.

(134) هو ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه، ملك حلب سنة 587هـ/1191م بعد أبيه، توفي سنة 617هـ/1220م، انظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص124؛ مرتضى بن محمد الزبيدي (ت 1205هـ/1790م)، ترويح القلوب في ذكر الملوك من بني أيوب، تح: صلاح الدين المُنجد، د.ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق: 1969م، ص63، وسيشار إليه تالياً: الزبيدي، ترويح القلوب.

(135) بعرين: مدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب، ولفظها الصحيح بارين، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ج2، ص256.

(136) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص142؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص193؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص118؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص161.

(137) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص142؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص118.

(138) هو اسدالدين شيركوه بن محمد صاحب حمص، ولد سنة 599هـ/1202م، وتوفي سنة 637هـ/1239م، وتولى بعده ولده المنصور ناصرالدين. انظر الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص184.

(139) هو مجدالدين ابو المظفر بهرامشاه، منحه صلاح الدين بعلبك، وأخذها منه الأشرف بن العادل، وانتقل بعدها الى دمشق، قتل سنة 628هـ/1230م، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص245.

(140) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص142.

(141 المصدر نفسه، ج3، ص143.

(142) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص143؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص 118.

(143) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص143؛ امتدح الشعراء الملك المنصور على هذا الانتصار، أنظر: أبو الفدا، المختصر، ج2، ص193؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص118-119.

(144) الاسبتارية (Hospitallers): طائفة من فرسان الصليبيين، تأسست سنة 493هـ/1099م، بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، من أجل القيام بخدمة المرضى الصليبيين وعلاجهم، ثم تحولت إلى فرقة عسكرية، وبسط البابا حمايته عليها سنة 507هـ/1113م، أنظر: المقريزي، السلوك، ج1، ق 1، ص68، حاشية 4؛ باركر، الحروب الصليبية، ص58؛ سميث، الاسبتارية، ص7.

(145) المقصود بالتُركُبُلية: أبناء الترك، وقد أطلقها البيزنطيون على فرقة من فرق جيشهم التي ينحدر أفرادها من أب تركي أو عربي وأم يونانية، جنّدهم الصليبيون في صفوفهم. أنظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص149؛ باركر، الحروب الصليبية، ص58؛ أما الجَرْخية: فهم رماة السهام أو النفط، أنظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص150؛ ويقصد برماة الزَّنْبورَك: الجند الذين يرمون نوعا من السهام بأربعة أوجه مثبت عليها ريشة تجعل انطلاقه أكثر ثباتا. أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص245.

(146) المصدر نفسه، ج3، ص145-149؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص194؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص194.

(147) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص149 – 152.

(148) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص147.

(149) أنظر: ملحق رقم (ج).

(150) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص153.

(151) المصدر نفسه، ج3، ص141؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص193؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص118.

(152) الحموي، محمد بن علي بن نظيف (ت637هـ/1240م)، التاريخ المنصوري، تح: أبو العيد دودو، مراجعة عدنان درويش، د.ط، مطبعة الحجاز، دمشق: 1981م، ص45، وسيشار إليه تاليا: الحموي، التاريخ المنصوري؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص145؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص195؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص119؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص339.

(153) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص291؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 159.

(154) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص159

(155) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص291؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 159؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص163؛ كفركنّا: مدينة بفلسطين فيها مقام النبي يونس عليه السلام، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ج 7، ص145.

(156) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص293؛ أبو شامة، كتاب الذيل، ص50؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص161، ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص120؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص163؛ فوة: قرية على شاطئ النيل قرب رشيد، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ج6، ص449.

(157) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص293؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 161؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص163.

(158) ذكـــر بعض المؤرخين أن أمد الصلح حدد بست سنوات، أنظر: رنسيمان، الحـــروب الصليبية، مج3، ق1، ص232؛ زوباروف، الصليبيون، ص282؛ Stevenson, The Crusaders in the East, P.297.

(159) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص291؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 162؛ أبـــو الفـــدا، المختصر، ج2، ص196؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص164؛ العســـقلاني، شـــفاء القلوب، ص214، زوباروف، الصليبيون، ص 282؛ Cahen, Ayyubids, Vol. I, P. 499; Holt, The Age of the Crusades, P. 62; Crousset, Histoire des Croisades, P. 161; Stevenson, The Crusaders in the East, PP 297-298;

وانظر: خارطة رقم (3).

(160) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص162.

(161) المصدر نفسه، ج3، ص162.

(162) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص163؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص164.

(163) الحموي، التاريخ المنصوري، ص46.

(164) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص167؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص164.

(165) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص167-168.

(166) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص341؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 172؛ ابن كثير، البداية، ج13، ص49؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. III, P. 171.

(167) الحموي، التاريخ المنصوري، ص52؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص172؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص215.

(168) هو شرف الدين عيسى ابن الملك العادل، ولد سنة 578هـ/1182م في القاهرة، نشأ بالشام، واستقل بدمشق بعد وفاة والده سنة 615هـ/1218م، توفي سنة 624هـ/1226م في دمشق. أنظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص 152؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص876؛ عبدالقادر محمد الدمشقي (ت978 هـ/1570م)، الدارس في تاريخ المدارس، أعد فهرسه: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1990، ج1، ص579، وسيشار إليه تاليا: النعيمي، الدارس؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص115

(169) هو مظفر الدين أبو الفتح موسى بن العادل، ولد في القاهرة سنة 576هـ/ 1224م، ملك بعد وفاة والده الرها، وحران، وأخلاط، حكم دمشق تسع سنوات، توفي سنة 635هـ/1237م، ودفن في قلعة دمشق. أنظر: ابن خلكان، وفيان الأعيان، ج5، ص330؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 256؛ الزبيدي، ترويح القلوب.، ص63.

(170) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص173؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص166.

(171) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص173.

(172) بلد بين حمص والساحل، الحموي، معجم البلدان، ج1، ص180.

(173) الحمـــوي، التاريخ المنصوري، ص53؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص173؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص172؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص 215.

(174) ابـــن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص173؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص 215.

(175) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص173.

(176) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص173؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص166.

(177) أبو شامة، كتاب الذيل، ص70؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص170؛ رنســيمان، الحــروب الصليبية، مج3، ق1، ص239؛ Stevenson, The Crusaders in the East, P.298.

(178) ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص158؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص174.

(179) سميث، الاسبتارية، ص144.

(180) ابـــن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص201؛ الاشرف اسماعيل بن العباس الغســاني (ت. 803هـــ/1400م)، العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طــبقات الخلفـــاء والملـــوك، تح: شاكر محمود عبدالمنعم، د.ط، دار التراث الاســـلامي، بيروت، دار البيان، بغداد: 1975م، ج2، ص320. وسيشار اليه تالياً: الغساني، العسجد المسبوك.

(181) الذهبـــي،دول الإســـلام،ج2،ص113؛الحنبلي،شذرات الذهب،ج5، ص24؛ بـــورة: مديـــنة علـــى ســـاحل البحـــر المتوســـط،قرب دمياط،أنظر:ياقوت الحموي،معجم البلدان،مج1،ج2،ص398.

(182) أبو شامة، كتاب الذيل، ص89؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص223؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص179.

(183) أبـــو شـــامة، كتاب الذيل، ص67؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص174.

(184) الذهبـــي، دول الإسلام، ج2، ص113؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص24.

(185) رنســيمان، الحـــروب الصـــليبية، مج3، ق1، 240؛ Stevenson, The Crusaders in the East, p. 298 ; Setton, A History of the Crusades, Vol. II, pp. 161-171.

(186) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص342؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص 201.

(187) حـــول رد الفعـــل هـــذا انظر: الحموي، التاريخ المنصوري، ص64؛ أبو شامة، كتاب الذيل، ص69-70؛ الحنبلي، شذارات الذهب، ج5، ص111.

(188) باركر، الحروب الصليبية، ص92-93.

(189) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص254.

(190) قـــدم على رأس هذه الحملة ليو بولد السادس؛ دوق النمسا، وأندريه الثاني؛ ملـــك هنغاريا، وهيو؛ ملك قبرص؛ والكاردينال بلاجيوس، مندوبا عن البابا، وقائـــدا للحملـــة. أنظر: رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص262-263.

(191) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص254.

(192) الحمـــوي، التاريخ المنصوري، ص73؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص 180.

(193) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص256؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص187.

(194) أبــو شامة، كتاب الذيل، ص102؛ أثنى ابن الأثير على خطة الملك العادل في التنقل بجيشه بين مدينة وأخرى باعتبار ان ذلك يعكس **"الحزم والمصلحة لئلا يخاطر باللقاء في حال تفرق العساكر"**، أنظر: الكامل، ج10، ص374؛ امــا فــيما يخص جمهور الناس، فيمكن تصوره في عتاب شيخ مسن خاطب الملــك العــادل ابان تنقله بين المدن فقال: **"... سرت من بلادك وتركتنا مع الأعــداء..."**. عــن ذلك أنظر: المصدر نفسه، ج10، ص374؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص256؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص187.

(195) ابــن واصــل، مفرج الكروب، ج3، ص254-255؛ المقريزي، المواعظ والاعتــبار بذكــر الخطــط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ج1، ص215، وسيشار إليه تاليا: المقريزي، الخطط؛ Stevenson, The Crusaders in the East, P. 302؛ ويلاحظ ان الملك المعظــم عيسى ابدى امتعاضه من انسحاب والده الملك العادل إلى بيســان، فأجابــه قــائلاً: **"بمــن أقاتل ؟** -إشارة إلى قلة العساكر معه- **أقطعت الشام ممالــيكك، وتركت من ينفعني من أبناء الناس الذين يرجعون إلى الأصول"**، حول ذلك أنظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص102-103؛ ابن كثير، البداية، ج 13، ص76؛ المقريــزي، الســلوك، ج1، ق1، ص186؛ العســقلاني، شفاء القلوب، ص224-225.

(196) الذهبي، العبر، ج3، ص16.

(197) ابــن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص180؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص255؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص213.

(198) ابــن الأثير، الكامل، ج10، ص373-374؛ ابن واصل، مفرج الكــروب، ج3، ص255.

إلـــيه تاليا: السيوطي، إتحاف الأخصا؛ رنسيمان، الحروب الصليبيـــة، مج3، ق1، ص266.

(230) أبـــو شـــامة، كـــتاب الـــذيل، ص113؛ ابن سباط، تاريخ، ج1، ص266؛ Stevenson, The Crusaders in the East, P. 305

(231) رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص293؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 34

(232) الحمـــوي، التاريخ المنصوري، ص80؛ أبو شامة، كتاب الذيل، ص125؛ المقريـــزي، الســـلوك، ج1، ق1، ص204؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 42.

(233) ابن كثير، البداية، ج13، ص80.

(234) مؤلف مجهول (منسوب خطأ الى ابن الفوطي)، الحوادث الجامعة والتجارب الـــنافعة فـــي المائة السابعة، علق عليه مصطفى جواد، د.ط، مطبعة الفرات، بغـــداد، 1351هــــ، ص107. وسيشار إليه تاليا: مؤلف مجهول، الحوادث الجامعة؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص197-198.

(235) تحـــدث سبط بن الجوزي عن محاولاته بإقناع الملك الأشرف بالمسير إلى مصر مساندة لأخيه السلطان الملك الكامل فقال: " **قد سحبت الأشرف إلى هنا بأسناني وهو كاره، وكل يوم أعتبه في تأخره، وهو يكاثر**"، كما خاطبه فقال: " **المســـلمون فـــي ضـــائقة، فـــإذا أخـــذ الفرنج الديار المصرية، ملكوا إلى حضـــرموت، وعفوا آثار مكة، والمدينة، والشـــام، وأنت بُلِّغتَ. قم الساعة وارحل** ". أنظر: أبو شامة، كتابة الذيل، ص128؛ اليافعي، مرآة الزمان، ج4، ص32.

(224) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص17.

(225) عند وصول الملك المعظم عيسى إلى أشموم طناح قادما من دمشق، علم من الملـــك الكامل بمؤامرة ابن المشطوب، فاستدعاه الملك المعظم، وسار به إلى خارج المدينة، وسلمه إلى جماعة من أصحابه، للمسير به إلى الشام، مات في ســجنه فـــي حران سنة 619هـ/1222م. أنظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص 116؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص79؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق 1، ص197؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, PP. 41-42

(226) أبــو شامة، كتاب الذيل، 115-116؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق 1، ص 204؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص305؛ رنسيمان، الحروب الصليبيــة، مج 3، ق1، ص267.

(227) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص378؛ أبو شامة، كتاب الذيل، ص115-116 ؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص253؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 32؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 41؛ وقد واجه قيام الملـــك المعظم عيسى بهدم أسوار مدينة بيت المقدس ضجة كبيرة، واستنكاراً مـــن العلمـــاء والأدبـــاء، كمـــا ان عامة الناس تركوا منازلهم خوفا من قدوم الصليبيين، في حين نظر آخرون الى الامر بمنظار يبرر ذلك، ويرى في هدم أســوار بـــيت المقدس مصلحة، تمنع الفرنج من التحكم ببلاد الشام، في حالة تمكـــنهم من السيطرة على بيت المقدس باسوارها المحصنة. عن ذلك أنظر: ابن كثير، البداية، ج13، ص83؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 83؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 34.

(228) أبو شامة، كتاب الذيل، ص113.

(229) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص204؛ محمد بن أحمد السيوطي (ت880 هــــ/1475م)، اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تح: أحمد رمضان، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982، ق1، ص283، وسيشار

(215) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص216.

(216) ابــن الأثير، الكامل، ج10، ص375-376؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص 216؛ السلوك، ج1، ق1، ص194؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص270؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 30

(217) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص376؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 15-16، المقريــزي، الخطط، ج1، ص216؛ السلوك، ج1، ق1، ص195؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 32

(218) أشــموم طــناح: مدينة قديمة في الصعيد الأدنى لمصر غربي النيل، تشتهر بالبســاتين والنخيل. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البــلدان، مج1، ج1، ص 163.

(219) هــو أبو العباس عماد الدين أحمد بن سيف الدين المعروف بابن المشطوب، مــن كبار أمراء الأكراد الهكارية في مصر، ولد سنة 575هـ/1179م، نال والده مكانة مرموقة في عهد صلاح الدين الأيوبي، وقد أقطعه نابلس بعد وفاة والــده. أنظــر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص84؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص16؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص196.

(220) المقصــود بذلك، الملك الفائز، سابق الدين إبراهيم بن الملك العادل. أنظر: الصــفدي، الوافي بالوفيات، ج6، ص124؛ ابن كثير، البداية، ج13، ص92؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص275

(221) ابــن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص14؛ ابو الفداء، المختصر، ج2، ص 214؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص196؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص276.

(222) المصدر نفسه، ج10، ص376؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص17.

(223) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص376.

(209) أنظــر الحــدود المقررة بين الطرفين الايوبي والصليبي بموجب معاهدتي الرملة، وسنة 601هـ/1204م في الخارطة رقم (2 و 3)

(210) الداويــة: Templiers منظمة عسكرية أطلقت على فرسان المعبد، أسسها هــيج دي بينز، Hugue De Paynes سنة 513هـ/1119م لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس، تحولت إلى هيئة حربية دينية. كان لفرســانها شأن كبير في تاريخ الإمارات الصليبية في الشام. انظر: مجهول، تـتمة الصــوري، ص73؛ باركر، الحروب الصليبية، ص58؛ سهيل زكار، المعجــم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العــالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي، ط1، دار الكتاب العربي، ج2، دمشــق: ســنة 1997م، ص 25، وسيشــار إليه تاليا: سهيل زكار، المعجم الموسوعي.

(211) اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص26؛ ابن تغري بــردي، النجوم الزاهرة، ج 6، ص197؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 33

(212) ابــن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص182؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص265؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 34.

(213) أبــو الفــداء، المختصر، ج2، ص214؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 196.

(214) هــو أبــو الفضــل يوسف بن صدر الدين محمد بن حمويه الجويني، ولد بدمشــق، بعد سنة 580هـ/1184م، وهو سفير الملك الكامل إلى الإمبراطور فــريدريك الثاني. شغل مناصب مهمة في الدولة الايوبية، وكان ممن استشهد فــي معــركة المنصــورة سنة 647هـ/1249م. أنظر: ابن واصل، مفرج الكــروب، ج4، ص206؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص221؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص239.

(199) ابـن الأثير، الكامل، ج10، ص373-374؛ ابن واصل، مفرج الكـروب، ج3، ص255؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص213؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص186؛ الخطط، ج1، ص215.

(200) ابـن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص257؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مـج3، ق1، ص264؛ Stevenson, The Crusaders in the East, P. 303

(201) مـرج الصُّـفَّر: سهل بين دمشق والجولان، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج3، ج5، ص194.

(202) الحمـوي، التاريخ المنصوري، ص73؛ ابن كثير، البداية، ج13، ص77؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص215.

(203) هـو ناصـر الـدين محمد بن الملك العادل، ولد في مصر سنة 576هـ / 1278م، نـاب عـن أبـيه في مصر عشرين سنة، وملكها بعده عشرين سنة أخـرى، توفي في قلعة دمشق سنة635هـ/1238م. انظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص166؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص89-90.

(204) ابـن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص182؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص265؛ Stevenson, The Crusaders in the East, P. 303

(205) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص261.

(206) المصدر نفسه، ج3، ص261.

(207) ابـن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص182؛ صافيتا: بلدة في طرطوس بنيت فـوق البرج الأبيض الذي بناه فرسان الهيكل. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص175.

(208) ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص182.

(236) استجاب أهل دمشق، لهذه الدعوة، إلا أنهم ترددوا بسبب عجزهم عن توفير الأمـــوال اللازمة. أنظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص117؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص305.

(237) ابـــن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص92؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص 250؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص203؛ الخطط، ج1، ص218؛ Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 64; Stevenson, The Crusaders in the East, P. 306.

(238) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص97.

(239) المصدر نفسه، ج4، ص97.

(240) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص379؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص262؛ القلقشـــندي، صـــبح الأعشى، ج5، ص413؛ Crousset، Histoire des croisades, T.7, PP 43-44; Burry, The Cambridge Medevial History, P. 314 ; Stevenson, The Crusaders in the East, Vol 2, P304.

(241) تحـــرت السياســـة الأيوبية تجاه الصليبيين، حتى نهاية عهد السلطان الملك العادل، العمل على ما يحقق توازناً سياسياً وعسكرياً بينهما، لا ترجح فيه كفة أحدهما على الآخر. أنظر: ص(32).

(242) رنســـيمان، الحـــروب الصـــليبية، مـــج3، ق1، ص296؛ Crousset، Histoire des Croisades, T7, P. 44; Holt, The Age of the Crusades, P. 63.

(243) زوبـــاروف، الصـــليبيون فـــي الشـــرق، ص299؛ Stevenson، The Crusaders in the East, P. 304; Crousset, Histoire des Croisades, T. 7, P. 56.

(244) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص379؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 95؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص413.

(245) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص11؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 33؛ Stevenson، The Crusaders in the East, P. 306.

(246) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص217.

(247) المقريزي، الخطط، ج1، ص218؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص79؛ Stevenson، The Crusaders in the East, P. 306; Crousset, Histoire des Croisaders, T. 7, PP. 62-63.

(248) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص95؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص 224-225؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص139.

(249) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص377؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 195؛ الخطط، ج1، ص216.

(250) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص98؛ ذكر بعض المؤرخين أن أمد المعاهدة حدد حتى 11رجب سنة 618هـ/1221م. أنظر: ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص12؛ وفي 9 رجب من السنة نفسها. أنظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص130؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص749؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج2، ص205؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص215.

(251) عن صليب الصلبوت أنظر: ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1، ق1، ص 399؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص95.

(252) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص380؛ الحموي، التاريخ المنصوري، ص92؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص12؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 98؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص218؛ زوباروف، الصليبيون في الشرق، ص298؛ Crousset، Histoire Des Croisades, T.7 P.65.

(253) رداً على فشل الحملة الصليبية الخامسة على مصر، وتحت تأثير زيارة لملك بيت المقدس اللاتينية الى أوروبا، دعت البابوية الى تهيئة حملة صليبية

جديــدة، وطالبت الإمبراطور فريدريك الثاني بقيادتها، وهو الأمر الذي رحب بـــه إبان تتويجه في كنيسة القديس بطرس في روما. أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص993.

(254) يــنحدر الإمبــراطور فــريدريك من عائلة هونشتاوفن من أب ألماني، هو هنــري الســادس، وأم نصف إيطالية هي كونستانس وريثة عــرش صقلية. عاش تحت وصاية البابا أنوسنت الثالث بعد وفاة والديه. عن حياة الإمبراطور أنظــر: عاشــور، **"الإمبــراطور فــريدريك الثاني والشرق العربي"**، المجلة التاريخــية المصرية، ع11، 1963، ص197؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مــج3، ق1، ص291؛ ذكــرى عزيز الصائغ، عصر الملك الكامل الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل 1988، ص102-103.

(255) الحموي، التاريخ المنصوري، ص310؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص 222.

(256) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص206؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص222.

(257) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص206؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص222؛ العســقلاني، شــفاء القلــوب، ص310؛ Stevenson, The Crusaders in the East, Vol II, P. 310; Bakker, Bone, Al-Kuds, Encyclopaedia of Islam, New Edition, 1986, Vol I, P.331, subsequently cited as: Bakker, Al-Kuds.

(258) هــدد الملك المعظم عيسى، الملك الكامل في رسالة أرسلها له في رمضان سـنة 624هـ/ تشرين الثاني 1227م قال فيها: " **إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها لقصدي أتصدق بألف دينار، فإن جميع عسكرك معي وكتبهم عــندي، وأنــا آخــذك بعســكرك** " ويبدو أنه أرسل رسالة أخرى حاول فيها بأسـلوب دقيق أن يثنيه عن تحركاته ضده فقال: " **بأني مملوكك، وما خرجت عــن محبــتك وطاعــتك، وحاشاك أن تخرج وتقابلني، وأنا أول من أنجدك،**

وحضــر إلــى خدمتك، من جميع ملوك الشام والشرق "، أنظر: ابن واصل، مفــرج الكــروب، ج4، ص207؛ أبــو الفدا، المختصر، ج2، ص233؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص144؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص222

(259) الحموي، التاريخ المنصوري، ص149؛ أبو شامة، كتاب الذيل، ص149.

(260) الحمــوي، التاريخ المنصوري، ص158؛ أبو شامة، كتاب الذيل، ص152؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص132.

(261) الغســاني، العسجد المسبوك، ج2، ص428؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص223.

(262) الحموي، التاريخ المنصوري، ص143.

(263) أمر الملك المعظم عيسى بإرسال أحد رهبان صليبيي الشوبك إلى الساحل، وتظاهــر أمــام الصليبيين بطرده، لرصد تحركات الإمبراطور، وكافأه الملك المعظم على دوره بقطعة أرض ومبلغ من المال، عن ذلك أنظر: صلاح الدين البحيــري، "**المخابرات الأيوبية في مواجهة الصليبيين**"، المؤرخ العربي، ع 41، 1990، ص122.

(264) إبــراهيم الخطيب، القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل، ط1، د.ن، عمان: 2001، ص275، وسيشار إليه تاليا: إبراهيم الخطيب، القدس.

(265) Cahen, Ayyubids, Vol. I. P. 799

(266) أرسلت هذه الرسالة إلى الأشرف موسى في شعبان من سنة 625هـ/ تموز 1227م وممــا جاء فيها، أنه لو تهاون الأيوبيون في الدفاع عن بيت المقدس، ومكــنوا أعــداءهم مــنها يحصل لهم – أي الأيوبيين – "**سوء الذكر، وقبح الأحدوثة**"، أنظر الملحق رقم (د).

(267) الحمــوي، التاريخ المنصوري، ص156؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص235؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص239؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص 300؛ Stevenson، The Crusaders in the East, p.309

(268) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص477؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص 235؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص311.

(269) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص478.

(270)Holt, The Age of the Crusades, P. 64, Stevenson, The Crusaders in the East, p311.

(271) Ibid, p311.

(272) ابـن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص241؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص .311

(273) هــو أحمــد بن عبدالسيد بن شعبان بن قحطان الإربلي، كان حاجبا لمظفر الــدين كوكبوري صاحب إربل، اعتقله، ثم أفرج عنه، وانتقل لخدمة المغيث ابن الملك العادل، وخدم عند الملك الكامل، وعظمت منزلته، توفي سنة 631 هـ/1233م. أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص186؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص166.

(274) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص15؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص 18؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص166.

(275) حضــر مــن الطــرف الأيوبي كل من الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، وأخيه كمال الدين، والشريف شمس الدين الأرموي، قاضي العسكر، والصلاح الإربلــي، والأميــر صــفي الدين بن سودان، أما الذين حضروا من الجانب الصــليبي فهم: هرمان ســلزا؛ رئيس الطائفة الألمانية، وتوماس فون إكوين، وألجــراف فــون أكيــر. أنظر: الحموي، التاريخ المنصوري، ص77؛ ابن

العمـــيد، أخـــبار الأيوبيين، ص16، المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230، زوباروف، الصليبيون في الشرق، ص303؛ سميث، الاسبتارية، ص169.

(276) القلقشـــندي، صبح الأعشي، ج3، ص429؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230

(277) سميث، الاسبتارية، ص169؛ زوباروف، الصليبيون في الشرق، ص303

(278) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص241؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230

(279) ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص241؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص230؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص311

(280) ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص206؛ Stevenson، The Crusaders in the east, p. 312.

(281) ابـــن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص206؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص16؛ابـــن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص241؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، مج1، ص129؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص147

(282) سميث، الاسبتارية، ص170؛ زوباروف، الصليبيون في الشرق، ص303؛ Stevenson، The Crusaders in the east, p. 312

(283) سميث، الاسبتارية، ص169؛ Stevenson، The Crusaders in the east, p. 310.

(284) أنظر نص هذه الرسالة في الملحق رقم (هـ).

(285) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص496؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص209-210؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص311.

(286) أبو الفداء، المختصر، ج2، ص246؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهـرة، ج 6، ص251.

(287) ابــن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص446؛ الحنبلي، شفاء القـلوب، ص 311؛ السـيوطي، اتحـاف الأخصا، ق2، ص236؛ وانظر: عبير المحاسنة، موقف العلماء والأدباء، ص183-186.

(288) المقصـود بـذلك حـرب الوراثة الثانية التي بدأت بُعيد تولى الملك العادل الثاني للسلطنة، أثارها الصالح نجم الدين أيوب لأحقيته بالسلطنة بفارق السن، ولـزيادة طمع الأمراء الأيوبيين الاستقلال بحكم مصر، وانشغال الملك العادل الثاني بأمور اللهو، فتم تدبير مؤامرة أدت إلى خلعه في 9 شوال 637هـ / 3 أيار 1238م، وتولي الصالح نجم مكانه. أنظر:ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5، ص84-85؛ ابـن واصـل، مفـرج الكـروب، ج5، ص245-247؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص266-272.

(289) هو سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل، ولد سنة 617هـ/1220م، تولى السلطنة بعد وفاة ابيه الملك الكامل سنة 635هـ/1237م، مات خنقا في سجنه في قلعة الجبل سنة 643هـ/1244م، أنظر ترجمته لدى: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص84؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص267.

(290) هـو نجـم الدين أيوب بن الملك الكامل، ولد في القاهرة، سنـة 603هـ/ 1207م، تـولـى مصر نيابة عن والده، سنة 625هـ/1225م، ثم ناب عنه في حصن كيفا، ودمشق سنة 647هـ/1249م. أنظر ترجمته لدى: أبو شامة، كتاب الذيل، ص183؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص367.

(291) جوانفـيل، القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشـي، ط1، دار المعـارف، مصـر 1968، ص86، وسيشـار إليه تاليا: جوانفـيل، القديس لويس؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص66؛ رنسيمان،

الحروب الصليبية، مج3، ق2، ص451؛ Burry, The Cambridge Medieval History, P. 315

(292) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص246؛ موسى بن محمد أحمد اليونيني (ت776هـ/1326م)، ذيل مرآة الزمان، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، 1945، مج1، ص142، وسيشار إليه تاليا: اليونيني، مرآة الزمان؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص268؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص164؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص291.

(293) سميث، الاسبتارية، ص177.

(294) هو صلاح الدين أبي المظفر ناصر الدين داوود بن المعظم عيسى، ولد بدمشق سنة 603هـ/1207م، حكم دمشق بعد وفاة والده، أخذها الملك الكامل منه وعوضه عنها بالكرك والشوبك، أنظر عنه: أبو شامة، كتاب الذيل، ص 200.

(295) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص291.

(296) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص246-247،؛ ابو الفدا، المختصر، ج 2، ص268؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص69.

(297) أبو شامة، كتاب الذيل، ص174؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 336؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص277؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص 169؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص277.

(298) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص256.

(299) هو عماد الدين إسماعيل بن العادل؛ صاحب بعلبك، وبصرى، مَلَكَ دمشق مدة بعد أخيه الأشرف، ثم أخذها منه الملك الكامل سنة 635هـ/1237م وعوضه عنها بمدينة بعلبك، ثم ملكها ثانية سنة 637هـ/1239م، قتل سنة 648هـ/1250م. أنظر ترجمته لدى: أبو شامة، كتاب الذيل، ص186؛ ابن

واصــل، مفرج الكروب، ج3، ص275؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص324–325؛ الزبيدي، ترويح القلوب، ص61.

(300) أنظر أعلاه، ص33–34.

(301) تحالف الملك الصالح إسماعيل، والناصر داوود، صاحب الكرك، والمنصور بــن شيركوه، صاحب حمص مع الصليبيين في عكا، ضد الصالح نجم الدين، الأمــر الــذي دفع بالصالح نجم الدين الى التحالف مع الخوارزمية لمناصرته إلــى جانــبه ضد الجناح المعارض. أنظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص336؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص277؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص304؛ Bakker, Al-Kuds, Vol. I, P. 331; Stevenson, The Crusaders in the East, P. 314

(302) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص333.

(303) المصــدر نفســه، ج5، ص332؛ أبــو الفــدا، المختصر، ج2، ص277؛ المقريــزي، السلوك، ج1، ق2، ص305؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص285؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص133.

(304) Carol. Hillenbrand, The Crusades Islamic Bersbectives, Edinburgh University Press, 1988, P. 203, Subsequently cited as: Carol, The Crusades.

(305) أبو شامة، كتاب الذيل، ص170؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص31؛ ابن واصــل، مفرج الكروب، ج5، ص302؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص 104.

(306) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص303.

(307) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص31؛ ابن كثير، البداية، ج13، ص155.

(308) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص147؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص 304.

(309) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص322؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص133.

(310) مؤلف مجهول، ص107.

(311) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص33؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 323؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص277؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص 169؛ العسقلاني، شفاء القلوب، ص376؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص73-74.

(312) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص333؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص285؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص128.

(313) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص305.

(314) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص33؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 336؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص317؛ Bakker, Al-Kuds, Vol. V, P. 331.

(315) سميث، الاسبتارية، ص179.

(316) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص315.

(317) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج1، ص157؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص315؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص73-74.

(318) المصدر نفسه، ص108-109؛ باركر، الحروب الصليبية، ص118.

(319) ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص341؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص316؛ ابــن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص323؛ Burry, The Cambridge Medival History, P. 315; Cahen, Ayyubids, Vol. I, P.804.

(320) أبو شامة، كتاب الذيل، ص180؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص36؛ ابن واصــل، مفرج الكروب، ج5، ص378؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص 327؛ Cahen, Ayyubids, Vol. I, P. 804; Stevenson, The Crusaders in the East, P.323

(321) المقريــزي، السلوك، ج1، ق2، ص317؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص1045.

(322) المرجع نفسه، ج2، ص1046.

(323) أبــو شــامة، كتاب الذيل، ص174؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص 349؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص349.

(324) عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص1049.

(325) جوانفيل، القديس لويس، ص86؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق2، ص144؛ باركر، الحروب الصليبية، ص120.

(326) هو ابن الملك لويس الثامن ملك فرنسا، تولى الملك بعد وفاته سنة 623هـ/ 1226م، وقــد كان هو الوحيد الذي استجاب للدعوة التي وجهها البابا لملوك اوروبا بتهيئة حملة لإنقاذ بيت المقدس. أنظر: جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصــليبي على مصر، ط2، دار النهضة العربية، بيروت: 1981، ص51 – 58، وسيشار إليه تاليا: جوزيف نسيم، العدوان الصليبي.

(327) ابــن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص247؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص 219.

(328) مؤلف مجهول، تتمة الصوري،ص75.

(329) ابــن العبري، مختصر الدول، ص259؛ جوانفيل، القديس لويس، ص90؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق2، ص451.

(330) أبو الفدا، المختصر،ج2، ص284. وبنو كنانة، قبيلة عربية كانت تستقر في الجهــات الشــمالية من مصر، وقد عرف ابناؤها بشجاعتهم. أنظر: جوزيف يوسف، العدوان الصليبي، هامش5، ص82.

(331) هــم طــبقة مــن المماليك، اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب، واسكنهم في جزيــرة الروضـــة، فعرفوا بالبحرية، وقد اخضعهم لتدريب عسكري صارم. انظر: المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص299–300؛ الخطط، ج2، ص236 ؛ جوزيف نسيم، العدوان الصليبي، ص40–41

(332) أبــو الفدا، المختصر، ج2، ص284؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ق2، ص 27؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص292.

(333) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ق2، ص206؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص271.

(334) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ق2، ص206؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص333.

(335) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص293؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ق1، ص277.

(336) أرسل الملك لويس التاسع إلى الصالح نجم الدين رسالة تهديد ذكره فيها بما كـــان قد حل بمسلمي الاندلس على ايدي الفرنج فقال انهم: "**... يحملون إلينا الهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر، ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء... وقد عــرفتك وحــذرتك مـــن عساكر قد حضرت في طاعتي تملأ السهل والجبل**

وعـــددهم كعـــدد الحصـــى وهم مرسلون إليك بأسياف القضى... ". أنظر: المقريـــزي، الســـلوك، ج1، ق2، ص334؛ الخطط، ج1، ص219؛ والملحق رقـــم (و)، وقد رد الملك الصالح نجم الدين على هذه الرسالة فقال: "**... فلو رأت عيناك أيها المغرور، حد سيوفنا، وعظم حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والســـواحل، وتخـــريبنا ديـــار الأواخر منكم والأوائل، لكان لك أن تعظ على أناملـــك بالـــندم...** ". أنظر: المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص334-335؛ الخطط، ج1، ص219؛ وانظر الملحق رقم (ز).

(337) أبو شامة، كتاب الذيل، ص183؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ق2، ص38؛ المقريـــزي، الســـلوك، ج1، ق2، ص336؛ جوانفيل، القديس لويس، ص96؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص154.

(338) مؤلف مجهول، الحوادث الجامعة، ص239؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص336؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ص2، ص454.

(339) هـــو ركـــن الدين بيبرس البندقداري الصالحي، أحد كبار مماليك السلطان الصالح نجم الدين، أنظر ترجمته لدى: ابو شامه، كتاب الذيل، ص174؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص285.

(340) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص337.

(341) هـــي مملـــوكة للصـــالح نجـــم الدين، من أصل تركي، وقيل انها أرمنية، تـــزوجها، وأنجـــبت منه ولدها خليل، قتلت سنة 655هـ/1257م في مصر، أنظـــر ترجمتها لدى: أبو شامة، كتاب الذيل، ص196؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص105.

(342) أبـــو الفـــدا، المختصر، ج2، ص286؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص 337؛ جوانفيل، القديس لويس، ص107؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق2، ص456.

(343) ســمى بعض المؤرخين هذه المعركة بـــ "مقبــرة الجيش الصليبي". أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص1070.

(344) هو المعظم غياث الدين، تورانشاه بن الصالح نجم الدين، ناب عن والده في حصن كيفا، ثم تولى السلطنة بعد وفاته. اساء الظن بالمماليك البحرية وبزوجة أبــيه شجرالدر، فتآمرت على قتله معهم، فقتل في نفس السنة التي تولى فيها الحكــم، وبــه انتهت الدولة الايوبية سنة648هـــ/1250م. أنظر: أبو شامة، كتاب الذيل، ص185؛ الذهبي، شذرات، ج5، ص24.

(345) جوانفيل، القديس لويس، ص147.

(346) عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص1072.

(347) بــدر الدين محمود العيني (ت 855هـــ / 1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهــل الــزمان، تـــح. محمــد محمد امين، د.ط، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصــرية العامة، د.م: 1987، ج1، ص21. سيشار اليه تالياً: العيني، عقد الجمان.

(348) القلقشندي، صبح الأعشي، ج8، ص36.

(349) رفــض الســلطان المعظم تورانشاه مقترحات لويس التاسع في إعادة بيت المقــدس، وكــان ما ورد في رده مشافهة لرسول الملك لويس: "**... والله ما يــنال أحد منكم منه ترابة إلا ما تسفيه الرياح عليه وهو مصلوب...** " حول هذا الرد أنظر: القلقشندي، صبح الأعشي، ج8، ص37.

(350) مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص190.

(351) جوانفيل، القديس لويس، ص157.

(352) جوانفيل، القديس لويس، ص165؛ مؤلف مجهول، تتمة الصوري، ص200 –202؛ غوانمة، معاهدات الصلح، ص70– 71.

(353) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص115-116.

(354) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص248.

(355) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص152-153.

(356) ابن الأثير، الكامل، ج10، ص479 ؛ الأشرف الغساني، العسجد المسبوك، ج2، ص434.

(357) القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص117-118.

(358) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص234 ؛ الخطط، ج1، ص219.

(359) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص334-335 ؛ الخطط، ج1، ص219.

المراجع

أ – المراجع باللغة العربية:

أبو الفدا، عمادالدين إسماعيل بن عليْ (ت1331/732م)(د.ت)، **تاريخ أبي الفدا المسمى المختصر في أخبار البشر**، علق عليه ووضع حواشيه محمود ديوب، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1266م)(1962م)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تح: محمد حلمي محمد، مراجعة محمد مصطفى زيادة، د.ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

أبو شامة، عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/1266م)(1974)، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين**، صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، راجعه عزت العطار الحسيني، ط2، دار الجيل، بيروت.

الأشرف اسماعيل بن العباس الغساني (ت803هـ/1400م) (1975م)، **العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك**، تح: شاكر محمود عبدالمنعم، د.ط.، دار التراث الإسلامي، بيروت، دار البيان، بغداد.

ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت930هـ/1523م) (1983)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تح: محمد مصطفى، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم (ت630هـ/1232م)(1963م)، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكـية بالموصل**، تح: عبدالقادر طليمات، د.ط، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون (ت685هـ/1286م)(1986م)، **تاريخ الزمان**، ترجمة الأب اسحق أرملة، قدم له الأب جان موريس، د.ط، دار المشرق، بيروت.

ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون (ت685هـ/1286م)(د.ت)، **تاريخ مختصر الدول**، ط1، دار المسيرة، بيروت.

ابن العديم، عمر بن أحمد (ت660هـ/1261م)(1986م)، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، تح: سامي الدهان، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق.

ابن العميد، المكين جرجس (ت672هـ/1273م)(د.ت)، **أخبار الأيوبيين**، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

ابن الفرات، محمد بن عبدالرحيم (ت807هـ/1468م)(1976م)، **تاريخ ابن الفرات**، د.ط، الناشر، حسن محمد الشماع، مطبعة حداد، البصيرة.

ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت742هـ/1341م)(1996م)، **تاريخ ابن الوردي**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1469م) (1992م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، علق عليه محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ /1405م)(1999م)، **تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر، في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر** ، ط1، دار احياء التراث العربي، بيروت.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)(د.ت)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مراجعة وزارة المعارف العمومية، الطبعة الأخيرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

ابن دقماق، ابراهيم بن محمد بن ايدمر (ت809هـ/1406م)(1985م)، **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين**، تح: محمد كمال الدين عز الدين علي، ط1، عالم الكتب، بيروت.

ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر (ت بعيد 929هـ/بعيد 1522م)(1993م)، **تاريخ ابن سباط، صدق الأخبار**، تح: عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس، ط1، طرابلس.

ابن شاهنشاه، محمد بن عمر الأيوبي (ت677هـ/1120م)(1986م)، **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، تح: سامي الدهان، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق.

ابن شداد، محمد بن إبراهيم (ت648هـ/1250م)(1956م)، **الأعلاق الخطيرة، في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تح: سامي الدهان، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق.

ابن شداد، يوسف بن رافع (ت632هـ/1234م)(1964م)، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين)**، تح: جمال الدين الشيال، ط1، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م)(1990م)، **البداية والنهاية**، تح: أحمد ملحم، ط2، مكتبة المعارف، بيروت.

ابن واصل، محمد بن سالم (ت697هـ/1297م)(1987م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح: جمال الدين الشيال، د.ط، المطبعة الأميرية، القاهرة.

باركر، أرنست،(1967م)، **الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت.

البحيري، صلاح الدين، (1990م)، المخابرات الأيوبية في مواجهة الصليبيين، **المؤرخ العربي**، ع41.

البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت643هـ/1245م) (1979م)، **سنا البرق الشامي**، تح: فتحية النبراوي، ط1، مكتبة الخانجي، مصر.

بول، ستانلي لين،(1995م)، **صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس**، ترجمة فاروق سعد أبو جابر، أشرف على اللغة العربية روكس بن زائد العزيزي، ط1، مطابع الأهرام، قليوب.

توفيق، عمر كمال،(1986م)، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

الجادر، عادل سالم العبد،(2000)، **الإسماعيليون**، ط1، د.ن، الكويت.

جبران، نعمان،(2000م)، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، ط1، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، إربد.

الجميلي، رشيد عبدالله، (1988م)، " العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى (567-589هـ/1171-1193م) "، **المؤرخ العربي**، ع35.

جوانفيل،(1968م)، **القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام**، ترجمة حسن حبشي، ط1، دار المعارف، مصر.

الحسّو، أحمد عبدالله،(2004)، **الكرك عبر العصور**، ط1، وزارة الثقافة، عمان.

الحموي، محمد بن علي بن نظيف (ت637هـ/1240م) (1981م)، **التاريخ المنصوري**، تح: أبو العيد دودو، مراجعة عدنان درويش، د.ط، مطبعة الحجاز، دمشق.

الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت626هـ/1228م)(د.ت)، **معجم البلدان**، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الخطيب، إبراهيم،(2001م)، **القدس بين أطماع الصليبيين وتفريط الملك الكامل**، ط1، د.ن، عمان.

الديباجي، موفق الدين (ت635هـ/1237م)(1984م)، **رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضي الفاضل**، تح: محمد نغش، ط1، د.ن، القاهرة.

الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)(1985م)، **العبر في خبر من غبر**، تح: أبو هاجر محمد السيد بن بسيوني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)(1988م)، **دول الإسلام**، تح: فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم، عنى بطبعه ونشره عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، د.ط، دار إحياء التراث العربي الإسلامي، قطر.

رنسيمان، ستيفن،(1997م)، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، د.ط، دار الثقافة، بيروت.

الزبيدي، مرتضى بن محمد (ت1205هـ/1790م)(1969م)، **ترويح القلوب في ذكر الملوك من بني أيوب**، تح: صلاح الدين المنجد، د.ط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

زكار، سهيل،(1997م)، **المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي**، ط1، دار الكتاب العربي، ج2، دمشق.

زوباروف، ميخائيل،(1986م)، **الصليبيون في الشرق**، ترجمة إلياس شاهين، د.ط، دار التقدم، موسكو.

زيتون، عادل،(1980)، **العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، ط1، دار دمشق.

سالم، سيد عبدالعزيز،(1986م)، **مدينة صيدا في العصر الإسلامي**، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

سميث، جوناثان رايلي،(1989م)، **الاسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (1050-1310م)**، ترجمة صبحي الجابي، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق.

سميل، ر.س.،(1995م)، **عبقرية صلاح الدين الأيوبي في الحروب الصليبية**، ترجمة محمد إبراهيم الدرويش وفاروق أحمد عيد، ط3، د.ن، د.م.

السيوطي، محمد بن أحمد (ت880هـ/1475م)(1982م)، **اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى**، تح: أحمد رمضان، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الصائغ، ذكرى عزيز، (1988)، **عصر الملك الكامل الأيوبي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل.

الصفدي، خليل الدين بن أيبك (ت764هـ/1362م)(1992م)، **الوافي بالوفيات**، باعتناء س. ديردبينغ، د.ط، دار صادر، بيروت.

الصوري، وليم،(1990م)، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م.

عاشور، سعيد، (1963م)، الإمبراطور فريدريك الثاني والشرق العربي، **المجلة التاريخية المصرية**، ع11.

عاشور، سعيد،(د.ت)، **مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك**، د.ط، دار النهضة، بيروت.

عاشور، سعيد،(1963م)، **الحركة الصليبية**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

عاشور، سعيد،(1976م)، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، ط2، دار النهضة العربية، مصر.

عبدالحميد، جلال حسني، (1993م)، **عكا في أثناء الحملة الفرنجية الصليبية الثالثة**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية.

عبدالعزيز، نبيل محمد، (د.ت)، خزائن السلاح ومحتوياتها على عصر الأيوبيين والمماليك، **المجلة التاريخية المصرية**، مج1976،23م.

العسقلاني، أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت876هـ/1471م)(د.ت)، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تح: ناظم رشيد، د.ط، د.ن، د.م.

علي، علي السيد، (1978م)، ملامح الجانب العربي الإسلامي في المواجهة ضد الغزو الصليبي، **المستقبل العربي**، ع102.

علي، علي السيد، (1991م)، المقاومة الشعبية للغزوة الصليبية في بلاد الشام (491-690هـ/1097-1291م)، **مجلة العصور**، مج6.

العماد الأصفهاني، محمد بن محمد (ت597هـ/1200م)(1965م)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تح: محمد محمود صبح، د.ط، الدار القومية، القاهرة.

العماد الأصفهاني، محمد بن محمد (ت597هـ/1200م)(1987م)، **البرق الشامي**، تح: فالح حسين، ط1، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان.

العماد الحنبلي، عبدالحي أحمد بن محمد (ت 1089هـ/1678م)(د.ت)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العيني، بدرالدين محمود (ت 855هـ/1451م)(1987م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تح: محمد محمد أمين، د.ط. مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة، د.م.

غوانمة، يوسف،(1995م)، **معاهدة الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج**، ط1، دار الفكر للنشر، عمان.

القلقشندي، أحمد بن علي بن اليمن (ت821هـ/1418م)(د.ت)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، د.ط، المطبعة الأميرية، د.م.

كاظم، سعد الدين، (1999م)، معركة حطين وتحرير القدس، الفصل الخامس (صلاح الدين الأيوبي) من كتاب Stevenson, The Crusaders in the east، **مجلة المورد**، مج27، ع34.

كاظم، سعد الدين، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

كاهن، كلود، (1995م)، **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ترجمة أحمد الشيخ، ط1، دار سينا للنشر، القاهرة.

ليونز، ملكوم، (1988م)، **صلاح الدين**، ترجمة علي ماضي، تح: نقولا زيادة، د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

مؤلف مجهول، (1351هـ)، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، المنسوب خطأ إلى كمال الدين أبي الفضل عبدالرزاق بن الفوطي (ت723هـ/1323م)، علق عليه مصطفى جواد، د.ط، مطبعة الفرات، بغداد.

مؤلف مجهول،(1978م)، **خزانة السلاح**، تح: نبيل محمد عبدالعزيز، د.ط، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

مؤلف مجهول،(2001م)، **تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان (1229-1261م)**، ترجمة أسامة زكي زيد، ط2، دار المصطفى للطباعة، طنطا.

مؤنس، حسين،(1987م)، **اطلس تاريخ الاسلام**، ط1، دار الزهراء للاعلام العربي، القاهرة.

المحاسنة، عبير أحمد، (2002م)، **موقف العلماء والأدباء من الصليبيين في العصر الأيوبي (569-648هـ/1173-1250م)**، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ.د أحمد عبدالله الحسو، جامعة مؤتة.

محمد علي، وفاء، (1407هـ)، **قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.

المقريزي، تقي.الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)(1956م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، د.ط، مصر.

المقريزي، تقي.الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)(1993م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: محمد حلمي محمد، د.ط، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة.

المقريزي، تقي.الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م)(د.ت)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، د.ط، دار صادر، بيروت.

النعيمي، عبدالقادر محمد الدمشقي (ت978هـ/1570م)(1990م)، **الدارس في تاريخ المدارس**، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

نوري، دريد عبدالقادر، (1976م)، **سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة (570-589هـ/1174-1193م)**، د.ط، مطبعة الإرشاد، بغداد.

النويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت733هـ/1322م)(د.ت)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: محمد محمدأمين ومحمد حلمي أحمد، د.ط، مركز تحقيق التراث، د.م.

اليافعي، عبدالله بن أسعد بن سليمان (ت768هـ/1463م)(1997م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

يحيى بن صالح (ت 840هـ/1436م)(1986م)، **تاريخ بيروت**، تح: فرنسيس هورس اليسوعي وآخرون، د.ط، دار المشرق، بيروت.

يوسف، جوزيف نسيم، (1981م)، **العدوان الصليبي على مصر**، ط2، دار النهضة العربية، بيروت.

اليونيني، موسى بن محمد احمد (ت726هـ/1325م)(1945م)، **ذيل مرآة الزمان**، ط 1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند.

ب – المراجع باللغة الأجنبية

Bury, J.B., (1957), **The Cambridge Medeival Historym**, Cambridge university press.

Crousset, Rene, (1936), **Histoire des crosiades et du Royaume**, Franc de Jerusalem, Paris, 1934-1936

Hillen Brand, Carole, (1988), **The Crusades Islamic Presbectives**, Edinburgh University Press.

Holt, P.M., (1986), **The Age of the Crusades** (The Near East From Eight Century to 1517), London.

Setton, K.M., A (1955), **History of the Crusades**, Philadelphia, Pennsylvenia Unversity Press.

Stevenson, W.B., (1968), **The Crusaders in the East**, slim press, Beirut.

Bakker, Bone, (1986), **Al-Kuds**, Encyclopaedia of Islam, New Edition.

Cahen, CL., (1979), **Ayyubids**, The Encyclopaedia of Islam, New edition.

الملحق (أ)

رسالة صادرة من السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى بلدوين الرابع في بيت المقدس معــزيا له في أبيه ومهنئا له بجلوسه في الملك بعده، سنة 570هـ/1174م

الملحق (أ)

رسالة صادرة من السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى بلدوين الرابع في بيت المقدس معـزيا له فـي أبيه ومهنئا له بجلوسه في الملك بعده، سنة 570هـ/ 1174م[353]:

" أما بعد – خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد ؛ والحظ الزائد، والتوفيق الوارد ؛ وهنأه من ملك قومه ما ورثه، وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه ؛ فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوب الأصادق، والنعي الذي وددنا أن قائله غير صادق ؛ بالملك العادل الأعز الذي لقاه الله خير ما لقى مثله، وبلغ الأرض سعادته كما بلغه محله ؛ معز بما يجب فيه العزاء، ومتأسف لفقده الذي عظمت به الأرزاء ؛ إلا أن الله سبحانه قد هون الحادث، بأن جعل ولده الوارث ؛ وأنسى المصاب، بأن حفظ به النصاب، ووهبه النعمتين: الملك والشباب ؛ فهنيئا له ما حاز، وسقيا لقبر والده الذي حق له الفداء لو جاز ؛ ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين أدام الله سلامته قائم عنا بإقامة العزاء من لسانه، ووصف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه ؛ وكيف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه. وقد استفتحنا الملك بكتابنا وارتيادنا، وددنا الذي هو ميراثه عن والده من ودادنا ؛ فليلقِ التحية بمثلها، وليأتِ الحسنة ليكون من أهلها ؛ وليعلم أنّا له كما كنّا لأبيه: مودة صافية، وعقيدة وافية ؛ ومحبة ثبت عقدها في الحياة والوفاة، وسريرة حكمت في الدنيا بالموافاة، مع ما في الدين من المخالفات. فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذي لا يخجل، وليعتمد علينا اعتماد الولد الذي لا يحمل عن والده ما تحمل ؛ والله يديم تعميره، ويحرس تأميره، ويقضي له بموافقة التوفيق، ويلهمه تصديق ظن الصديق ".

الملحق (ب)

المدن والحصون التي استنقذها صلاح الدين الأيوبي (583-586هـ/1187-1190م)، كما وردت في كتاب: النوادر السلطانية، لابن شداد

الملحق (ب)

المدن والحصون التي استنقذها صلاح الدين الأيوبي (583-586هـ/1187-1190م) [354]، كما وردت في كتاب: النوادر الساطانية، لابن شداد.

طبريــا، عكا، حيفا، الناصرة، الرملة، قيسارية، أرسوف، يافا، عسقلان، غزة، الداروم، صيدا، بيروت، جبيل، هونين، جبلية، تبنين، أنطرطوس، جبلة، اللاذقية، السرفند، مدينة القدس الشريف، نابلس، البيرة، صفورية، الطور، حصن دبورية، الفولة، حصن عقربلا، حصن جنين، سفسطية، كوكب، حصن عفرى، بيت لحم، حصن العازرية، البرج الأحمر، حصن الخليل، بيت جبرين، تل الصافية، حصن مجدل يابا، قلعة الجيب الفوقاني، الجيب التحتاني، النطرون، الحصن الأحمر، اللد، قلنوسة، يبنى، القاقون، القيمــون، قلعة الكرك، قلعة الشوبك، قلعة السلع، الوعيرة، قلعة الجمع، قلعة الطفيلة، قلعة الهرمز، قلعة صفد، حصن يازور، شقيف أرنون، حصن إسكندرونــة، قلعة أبي الحسن، المرقية، حصن يحمور، بلنياس، صهيون، بلاطنس، حصن الجماهرية، قلعة العيذد، بكاس، الشغر، بكسرائيل، السرمانية، قلعة برزية، دربساك، بغراس، الدانور، السوفند.

الملحق (ج)

جانب من رسالة بعث بها الملك العادل الى الملك المنصور في طلب الاسبتارية للصلح سنة 599هـ/1202م

الملحق (ج)

جانب من رسالة بعث بها الملك العادل الى الملك المنصور في طلب الاسبتارية للصلح سنة 599هـ/1202م(355):

"... الذي يراه المجلس من الصواب يعتمده، والمصلحة إن شـــاء الله فيما يقصده.

وأما الفرنج – خذلهم الله – فإن مادتهم قليلة، ونجدتهم متأخرة، وقد وصلت الكتب من كل جهة تخبر بضعفهم، ولم يتجدد سوى مضيهم إلى أنطاكيا للصلح بين الإبرنس وابن لاون.

والثغور – بحمد الله – قد تحصنت، والعساكر إليها قد جُرِّدت، وهي بهم قد مُلئت وشُحنت.

والله تعالى يوزع شكر المجلس، فقد بلغ الغاية في الإحسان، وأتى بما يزيد على الإمكان في هذا الشأن.

ويوعز المجلس بأن يقوي عليهم القول ويشدد عليهم الطول ".

الملحق (د)

نص من رسالة السلطان الملك الكامل إلى أخيه الأشرف موسى حين قدم على رأس عساكره من مصر في شعبان 625هـ/1227م قاصداً بيت المقدس

الملحق (د)

نص من رسالة السلطان الملك الكامل إلى أخيه الأشرف موسى حين قدم على رأس عساكره من مصر في شعبان 625هـ/1227م قاصداً بيت المقدس[356]:

" إني ما جئت إلى هذه البلاد إلا بسبب الفرنج، فإنهم لم يكن في البلاد من يمنعهم عما يريدونه، وقد عمروا صيدا، وبعض قيسارية ولم يمنعوا، وأن تعلم أن عمنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس، فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضي الأعمار وممر الأيام، فإن أخذه الفرنج حصل من سوء الذكر وقبح الأحدوثة ما يناقض ذلك الذكر الجميل، الذي ادخره عمنا، وأي وجه يبقى لنا عند الناس وعند الله – تعالى – ثم أنهم ما يقنعون حينئذ بما أخذوه، ويتعدون إلى غيره، وحيث قد حضرت أنت فأنا أعود إلى مصر واحفظ أنت البلاد ولست بالذي يقال عني:

أنني قاتلت أخي أو حصرته – حاشا لله تعالى – ".

الملحق (هـ)

رسالة صادرة عن الملك الجواد يونس نائب دمشق إلى الإمبراطور فريدريك الثاني سنة 630هـ/1232م

الملحق (هـ)

رسالة صادرة عن الملك الجواد يونس نائب دمشق إلى الإمبراطور فريدريك الثاني سنة 630هـ/1232م [357]:

" المولى، الملك، الأجل، الأعز الكبير، المؤيد، الخطير، العالم العامل، الظهير، العادل، الأوحد، المجتبي، شمس الملة النصرانية، جلال الطائفة الصليبية ؛ عضد الأمة الفرنجية، فخر أبناء المعمودية ؛ عمدة الممالك ضابط العساكر المسيحية، قيصر المعظم فلان معز إمام رومية، ثبت الله لديه نعمة، وعزز موارد جوده وديمه، وأمضى صوارم عزائمة وأعلى هممه، ولا برحت أنوار سعده، تتلالا، وأخبار مجده، تبسط وتتعالى، وسحائب الألسنة الناطقة بحمده تستهل وتتوالى ؛ إلى أن يتحلى جيد الضحى بعقود الليل، وتطلع الشعرى من مطالع سهيل – فتجدد الثناء على جلالة، وأكد المديح لإحسانة وإفضاله ؛ وأنفس أسباب المودة والحصافة، وشدد أواخي الإخلاص والموافاة فاستبشرت النفوس بوروده، وسرت القلوب بوفوده ؛ ووقف منه على الإحسان الذي نعرفه، ووجد عقده مشتملا على جواهر الوداد الذي نألفه ؛ فشكر الله على هذه الألفة المنتظمة، والمحبة الصادقة المكرمة. والمجلس العالي الملك الأجل أعلى الله قدره، ونشر بالخير ذكره، أولى من أهدى المسرات، بورود المراسم والحاجات، ووصل الأنس بكريم المكاتبات، مضمنة السوانح والمهمات. ٦٢٢٣٢٨-

فأما ما ذكره المقام العالي السلطاني الملكي الكاملي الناصري – زاد الله شرفا وعلواً – من أنه لا فرق بين المملكتين، فهذا هو المعتقد في صدق عهده، وخالص وده ؛ ولا زال ملكه عاليا، وشرفه ناميا، إن شاء الله تعالى ".

الملحق (و)

رسالة الملك لويس التاسع إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب، مهدداً له بتسليم البلاد سنة 647هـ/1249م

الملحق (و)

رسالة الملك لويس التاسع إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب، مهدداً له بتسليم البلاد سنة 647هـ/1249م:(358)

" أما بعد، فإنه لم يخفَ عليك أني أمين الأمة العيسوية، كما أني أقول أنك أمين الأمة المحمدية. وأنه غير خافٍ عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا من الأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقر، ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلي منهم الديار، وقد أبديت لك ما فيه الكفاية، وبذلت لك النصح إلى النهاية، فلو حلفت لي بكل الإيمان، ودخلت على القسوس والرهبان، وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان، ما ردني ذلك عن الوصول إليك، وقتالك في أعز البقاع إليك، فإن كانت البلاد لي، فيا هدية حصلت في يدي ؛ وإن كانت البلاد لك والغلبة عليّ، فيدك العليا ممتدة إليّ. وقد عرّفتك وحذرّتك، من عساكر قد حضرت في طاعتي، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بأسياف القضا ".

الملحق (ز)

جواب السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب على كتاب الملك لويس التاسع سنة 647هـ/1249م

الملحق (ز)

جواب السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب على كتاب الملك لويس التاسع سنة 647هـ/1249م[359]

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه اجمعين. أما بعد، فإنه وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك. فنحن أرباب السيوف، وما قتل منا فرد إلا جددناه، ولا بغى علينا باغٍ إلا دمرناه، ولو رأت عيناك – أيها المغرور – حد سيوفنا، وعظم حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والسواحل، وتخريبنا ديار الأواخر منكم والأوائل، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم، ولا بد أن تزل بك القدم، في يوم أوله لنا وأخره عليك. فــهنالك تسيء الظنون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فإذا قرأت كتابي هذا، فتكون فيه على أول سورة النحل: أتى أمر الله فلا تستعجلوه ؛ وتكون على آخر سورة ص: ولتعلمن نبأه بعد حين. ونعود إلى قول الله تعالى، وهو أصدق القائلين: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ؛ وقول الحكماء: إن الباغي له مصرع ؛ وبغيك يصرعك، وإلى البلاء يقلبك، والسلام ".

(66) عــن الأحداث التي اكتنفت هذه الحقبة انظر: ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 255؛ ابـن واصــل، مفــرج الكــروب، ج2، ص111؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص152-154؛ Holt, The Age of the Crusades., P. 61

(67) ابــن العديم، زبدة الحلب، ج3، ص147؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص111.

(68) انظر الخارطة رقم (2).

(69) أبــن شــداد، النوادر السلطانية، ص234؛ أبو شامة، كتاب الروضتين، ج4، ص312؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص404.

(70) مؤلف مجهول، تتمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ الى روثلان (1229-1261م)، تــرجمة اســامة زكي زيد، ط2، دار المصطفى للطباعة، طنطا 2001م، ص49، وسيشــار إلــيه تالياً: مؤلف مجهول، تتمة وليم الصوري، وانظــر عن البابا انوسنت الثالث، الذي كان على رأس البابوية (595-613هـــ/1198-1216م): رنسيمان، الحروب الصليبية، مج3، ق1، ص195-200؛ عاشــور، الحــركة الصليبية، ج2، ص929؛ ارنست باركر، الحروب الصــليبية، تــرجمة السيد الباز العريني، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت 1967م، ص96، وسيشار اليه تالياً: باركر، الحروب الصليبية.

(71) المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص115.

(72) المصدر نفسه، ج1، ق1، ص115.

(73) العماد الاصفهاني، الفتح القسي، ص357؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 442؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص115. عن الامير عز الدين جرديك النوري الذي حكم بيت المقدس حتى سنة 594هــ/1197م، انظر: ابو شامة، تــراجم رجــال القــرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين،